الباب الثالث

مواقف الشعراء العرب تجاه المأساة

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

مواقف الشعراء العرب في الجناح العربي الآسيوي

obeikandl.com

obeikandl.com

مأساة لبنان، وحصار المدينة، والاجتياح للجنوب اللبناني، وخروج المقاومة الفلسطينية من بيروت، كان نقطة تحول عند الشعراء العرب في كل قطر من أقطاره من المحيط إلى الخليج، وأصبحت المأساة قضية مهمة، تناقلها الشعراء بشعرهم وصفا، وشرحا، وتصويرا، بعواطف امتزجت بالألم والحزن الشديد، واتخذت قصائد الشعراء مناح مختلفة، ولكن غلب عليها البعد القومي، وحب الوطن، والأرض والمقاومة والصمود، وهو ما سنوضحه فى الصفحات التالية:

وفي البدء ينبغي القول بأنني قسَّمت الوطن العربي إلى جزأين، الأول: الوطن العربي الآسيوي، والثاني: الوطن العربي الإفريقي، ثم تناولت شعر شعراء الوطن الآسيوي، وقد راعيت الترتيب الألفبائي في ترتيب ذكر هذه الدول، فبدأت بالأردن، ثم انتقلت منها إلى الدول العربية الآسيوية التالية لها في الترتيب، فإذا ما انتهيت من تلك الدول، بدأت بالدول العربية بالجناح الإفريقي، مراعيًا - أيضًا - الترتيب آنف الذكر.

شعراء الأردن:

في البدء سيكون الحديث حول الشعراء الأردنيين الذين سطروا بقصائدهم الشعرية خطوطًا واضحة عن لبنان، بل نقلوا المأساة بشعرهم إلى كل مواطن في الأردن، أو في أي مكان، وأول هؤلاء الشعراء: الشاعر الأردني يوسف العظم الذي كتب قصيدة، مليئة بالحزن على ما حدث لإخوة الإسلام في لبنان، يدعو في أبياته الشعرية إلى الرجوع إلى القرآن الكريم، ففيه سبيل نصرنا، وفيه خلاصنا، وفيه عزنا.. يقول في قصيدة له بعنوان «فلسطينية تروي قصتها في بيروت» يقول على لسانها:

ذبحـــــوني من وريد لوريد ... وسقوني المرّ في كل صعيد

مزقوا زوجي فلم أعبأ بهم ... ومضو نحو صغيري ووحيدي

غـرسـوا الحـرية في أحـشـائهم ... فـغـدا التكبـيـر أصـداء نشـيـدي

دمـروا بيـتي، وهل بيـتي هنا؟ ... إن بيـتي خلف هـاتيك الحـدود[1]

يتابع الشاعر أبياته بمزيد من الألم والحسرة، لما أصاب الأم الفلسطينية من قتل وتدمير لبيتها الذي سكنته بعد أن طردت من بيتها الأصلي في فلسطين المحتلة، ويرثي الشاعر بمرارة لحال الأمة العربية النائمة، ولم ير غير أولاد الأفاعي «اليهود» كناية عن غدرهم وحقدهم، وهم أعداء الإسلام والمسلمين، ويُكثر الشاعر من تساؤلاته للأمة العربية: أين نفط العرب؟ مذخور لمن؟ أين درع الصمود؟ وأين المساندات العربية؟ كثرة السؤال توحي بالصمت العربي الذي عيَّ جوابًا، يقول:

وتلفت فلم أعـثـر على ... غـيـر أبناء الأفـاعي والقـرود

أين نفط العُـرْب؟ مـذخـور لمن؟ ... أين أبناء الحـمى درع الصـمـود؟

ذبحـونـي من وريـد لوريـد ... غـيـر أني لم أطأطئ ليـهـودي

ودمـي سـال على تلك الربى ... ينثـر العطر على حـمـر الورود

ولغ الـقـاصب في أشـلائنا ... غـيـر أنّا لم نزل سـمـر الزنود

ولوائـي فـوق هـامـات الورى ... يتـحـدّى في العُلى كل البنود

ويؤكد الشاعر بأن السلم مع اليهود بضاعة زائفة، ويخبر الشاعر من يركض ويلهث وراء السلم، بأن اليهود لن يحترموا المواثيق، أو المعاهدات، وهذا طبع فيهم منذ القِدَم. ومن يقرأ تاريخهم مع النبي (ﷺ) يعلم ذلك، يقول:

قل لمن يلهث في «غـفـلتـه» ... ينشـد السلم تمتع بالصـديد

ويأتي يوسف العظم في نهاية أبياته، داعيًا إلى العودة إلى الدين الإسلامي، وكتاب الله والتمثل بقياد الإسلام، وقادته حتى نفوز بالجنة يوم القيامة.. يقول:

قل لمن يحـسب أنا أمـة ... أنكرت أمـجـاد «سـعـد والوليـد»

نحن شـعب لم يعـد يخشى الردى ... أو يبـالي برصـاص وحـديد

---

(١) مجلة الإصلاح العدد ٨٠، دبي ١٩٨٢م، ص ١٥، ونشرت في مجلة الجندي الأردنية، نقلاً عن جريدة الراي الأردنية.

قطع العهد في أعماقه دعوة التوحيد والدين الرشيد
كلما أطفئ منا قبس أشرف القرآن بالفجر الجديد

لاحظ الحسّ الإسلامي لدى الشاعر، من خلال ألفاظه وصوره ومعانيه، وسنتناول ذلك في صفحات مقبلة من هذه الدراسة.

أما الشاعر الأردني مصطفى الصيفي في قصيدة له بعنوان «ريما في تل الزعتر» فهو يبكي على ما جرى لأبناء مخيّم تل الزعتر، حين دمرتهم قوى البغي والظلم، وفي أبياته يصف المجزرة ممثلاً لها بالطفلة «ريما» التي فقدت والدها وإخوتها، ويورد صورة للذبح تفوق الخيال.. صورة الوليد الصغير الذي ذبحوه على يدي أمه.. يصرخ الشاعر مستنجداً بالله في أكثر من بيت؛ لأنه يعرف أن العون والنجدة من الله، وأما العرب فلا... وألف لا...(!!) يقول:

لمن القبور يفسح تل الزعتر «ريما» فديتك كيف لم تتذكري
وتطلعت والدمع يحكي قصة الـ مأساة رغم جموده في المحجر
قتلوا أباها في صباح قاتم كقتام زوبعة بيوم أغبر
واثنين من إخوانها رشوهما عند الجدار بغلظة وتجبر[1]

وبعد هذا الألم والحزن والحسرة، الذي ألم بريما المسكينة، بفقدها لأبيها، واثنين من إخوانها، لم تنته مأساتها، بل استمرت وامتدت إلى الطفل الصغير، هذه صورة تمثل عمق الجرح، وصاحب الجريمة الذي ولغ فمه بدم أطفال تل الزعتر، يقول الصيفي:

بقي الصغير بحضنها فمضت به مذهولة تعدو بغير مدبّر
فإذا الوحوش ثلاثة قد أغفلوا كل الدروب بوجهها المتكدر
وتقدموا، طعنوا الصغير بخنجر ذبحوه كالغصن الندي المزهر
ذبحوه فانتشر الدم القاني على وجه الأديم كدفقة من عنبر
ذبحوه فارتجت جبال الأرض تشـ ـكو الظلم في بيروت ظلم الغدر
ذبحوه، يالله أريما لم تجد من مسعف إلا ابتسام المزدري

---

(١) مصطفى الصيفي: قنابل للسفر الطويل، المطبعة الاقتصادية - عمان، ط١، ١٩٧٨م، ص ٤٢.

لاحظ ألفاظ المقطع وما بها من دلالة حزينة، نبعت من تلك الصورة المعبرة، فضلاً عن تكرار كلمة «ذبحوه» التي توحي بالوحشية والهمجية.

وبعد قتل وليدها، هل ساعدها أحد، أين ذهبت ريما، تجمع الذئاب على جسدها ومزقوه.. بعد أن تعاقبوا عليها.. منظر الفتاة القاصر يبعث الألم والحسرة.. يولد النقمة على هذه الشرذمة المجرمة التي لطخت يديها بدماء الأبرياء. يقول:

مـدوا أياديهم فـهـذا ناهش ... في فخذها، في نهدها المتكور
قالوا لها: خذي هذا طريق آمن ... لابد من ثمن لنا كي تعبري
غمسوا يديها في دماء شقيقها ... قالوا: إليك تخضبي وتعطري
نشبت أظافرها، ولكن هل يصد ... الريح ورد الحسن والغصن الطري؟!
فتعاقبوها.. مزقوا الفستان.. ... والجسد النحيل بخفة وتهور
كانت وليمتهم فتاة قاصرا ... وبدعوة الحقد الدفين المسكر
قامت تجر خطى الكآبة والأسى ... في التيه في الظلماء.. أي تمثر
ومضت مخضبة الثياب حزينة ... ودم البكارة فوق دم الأصفر

يتابع الشاعر قصيدته الطويلة، موضحًا للعالم مدى الفظاعة التي ارتكبها الإسرائيليون، وأن هذه العصبة قد خربت لبنان، وحولته إلى مأساة دائمة.. يقول:

الله يا لبنان يا مهد الحضا ... رة والثقافة... ملجأ المتحرر
أتكون ممتقل عصبة جحدوا العرو ... بة في الجبال الشم دون تستر؟

أما الشاعر إبراهيم نصر الله في قصيدة «غزال بيروت» يوضح لنا الصورة العميقة التي رسمها للطفل الفلسطيني المقاتل في بيروت، ومخيماتها صورة التحدي والبطولة ورضاعة الصمود منذ نعومة الأظافر، عاش في بيروت بين القصف اليومي والاجتياح الليلي، شاهد الدمار والخراب فاكتمل نموه سريعًا، فأصبح عاشقًا للأرض.. للوطن. يقول:

تفتَّح في النار
واكتملت وردة البحر في صدره

وطنًا لا ينام

استوى فلكًا من غناء

وخاصر أحزان أشجاره

والحمام

مضى في دم الخيل

ملتصقا

بالهوى والصهيل

وفي المشب مكتملاً بالغمام[1]

يتابع الشاعر أبياته مؤكدًا بأن هذا الغزال أصبح عنيدًا صامدًا، وتلون بلون الدم وأشرق بشمس الحرية، فهو الخصب، والنماء، وهو المشب، وهو النار الحارقة لأعدائه هو الجرح الذي تعطر بتراب الوطن، يقول:

فقالت أناشيده:

هل رأيتم دمًا يوقد الماء

أو يورق العشب فوق السحاب

هتفنا: نعم

إنه الجمر يأخذ شكل الأغاني

إنه الجرح يأخذ شكل التراب

يؤكد الشاعر على التوحد بين الأرض والمقاتل، وحدة الدم المراق على تراب الأرض، ووصل الشاعر إلى الانفجار مع غزال بيروت حين يصرّح للشمس والأرض بأن دمه الطاهر يمثل شعاع الحرية، ونور الانعتاق، فيقول:

قال للشمس:

---

(١) إبراهيم نصر الله: المطر في الداخل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط١، ١٩٨٣م، دار الشروق للنشر والتوزيع - عمان - الأردن، ص ٥٧.

هذا دمي

فاتبعيني

قال للأرض:

هذا دمي

فاسكتيني

ومكّن للأرض سر الفصول

وزيّن للشمس هذا المدار

وقصيدة «أزهار عدن» – الزهرة الرابعة – تمثل هذه المأساة، مأساة الرحيل، وكيف عبّر عنها الشاعر من خلال أبياته الشعرية المتفجرة، التي تنبض صدقًا وحرارة وعاطفة ملتهبة.

تقولين لي:

لأن السماء

ظللت حزن أبنائك المتعبين

هي الآن زرقاء

تقولين لي:

لأن الجبال استدارت لتحرس

شيخًا بمركبه الخشبي

بعرض المحيط

هي الآن لا تقبل الانحناء

تقولين لي:

لأن الرجال هنا طيبون

يحبون أشجارهم والنساء

يجيء الشتاء

تقولين لي:

إن كل الذين رموا عشب عينيك

بالنار والخوف عبر الزمان

هم الآن غرباء هذا الفضاء[1]

نلاحظ أن الشاعر في حواريته مع الزهرة يصل إلى قمة الحدث الذي يريده، هذه الصفة جعلت الشاعر إبراهيم نصر الله يطير في كل اتجاه، مواجهًا كل إعصار، كمقاطع قصائده.

ويحدد إبراهيم نصر الله ملامح الإنسان الفلسطيني في بيروت، وفلسطين، وفي كل مكان فالموت مطارده، والقتل منتظره، والقنابل فوق رأسه، وهذه الملامح تتحدد من خلال شخصية والد الشاعر الذي يحاوره ويطلب منه أن يصمد في وجه الإعصار، ويتحدى الحصار وذلك في قصيدة له بعنوان «الحوار الأخير قبل مقتل المصفور بدقائق». يقول:

واشهر سلاحك

حبك

كن في انتشارك فرقد

وسبح سطوحك

نافذة البيت

أرضك

شمسك

كن فارس الأغنيات العصي الذي يتجدد

هم يغلقون الطريق إلى صدر أمك

هذي عيون بنادقهم

---

(١) المصدر نفسه ص ٩٠.

وحواجزهم

والكلاب التي خرجت من مدارسهم

وقفت في الجوار مجموعة تترصد

افتح العين

عين النخيل

وعين سلاحك

ها أنت تكتمل الآن.. تعبد[1]

وقد حركت قوافل الشهداء في «صبرا» و«شاتيلا» الشاعر عبد الرحيم عمر، فاندفع معبّرًا عن تلك الفجيعة المروِّعة التي تناساها الناس، ورغم العار اللاحق بالأمة العربية، فما زال التآمر يُحاك هنا وهناك، فيقول:

وقوافل الشهداء في صبرا وشاتيلا تضيع

كأنها سرٌّ طوته يد الزمان فلا معاد

صبرًا أيا خطًّا يضل به البريد إلى الأبد

ويظل يقتل في المناضي الجافيات بلا سند

طال الأمد..

.....

واليوم يزدحم المدى بالعار حولك والجنون

والليل بالفرسان يزخر والصهيل سوى الصهيل

شرف السلاح يخونه المتآمرون

.....

يتكلمون الضاد والفصحى، فتغضى الشمس تخفى

---

(١) إبراهيم نصر الله: الخيول على مشارف المدينة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ص ٦١.

وجهها بالنار دونك والغبار

يا ويلنا هل عاد بالموت التتار؟!![1]

وتظل نار لبنان ذات طلع كأنه رؤوس الشياطين، تشمل الشعر قبل أن يتحول إلى جمر، فهذا المرحوم الشاعر محمد شديد يقول في قصيدة له بعنوان «مرثية إلى بيروت» يقول:

.... من بيروت أخاطبكم

من هالة مشعال اللهب القدسي الرائع والباهر

من نزف إباء الجرح العربي المشبوب الثائر

هي ذي - أعني بيروت - فلا زالت وستبقى

مخرز نار في أعينكم!!

نظرة تعرية ساخرة تمسخكم..!!

«بيروت» مقامر ضآلتكم...[2]

لم يبق قوّال لم يقل في بيروت قولته أثناء اشتعال الحريق وبعد أن صارت النار رمادًا، وأضحت لبنان خرابًا، ولذا نرى الشاعر عبد الله عبد الرزاق يقول في قصيدته الموسومة بـ«بيروت تحترق».

بل إن أعداء لنا عاثوا بها ظلما ... سدّوا منافسها بإحكام وإتقان

ثكلى أتوها لا تحرك ساكنًا وسنى ... دخلوا بها داسوا كرامة كل إنسان[3]

أما الشاعر أحمد المصلح في قصيدته «عبد الله المقتول» فتكبر فيها مساحة الرمز، ويكبر الهم العربي، وتتضح المأساة، والقتل يتربص لعبد الله، وهو رمز للعربي الفلسطيني المشرَّد، والمطارد في كل مكان، هذا الإنسان الذي أصبح يعيش في العراء،

---

(١) عبد الرحيم عمر: قصيدة «طال الأمد»، ألقاها في مهرجان جرش ١٩٨٥م.

(٢) نقلاً عن: البحث عن قصيدة المواجهة في الأردن ١٩٦٧ - ١٩٨٥م، د. عبد الرحمن ياغي: ص ٢٥٢.

(٣) عبد الله عبد الرزاق: ديوان تأملات، دار الفرقان، عمان ١٩٨٣م، ص ١٦.

يبحث عن رائحة الوطن علّه يجد مأوى يستر عورته، أو يداوي جراحه، ولكنه لا يدري بأن دمه مهدور في كل مكان، يقول:

وجع أغالبه فيغلبني

وأقوم أحلمه فيخلعني

وأقول تبتدئ الحكاية

كان عبد الله مصلوبًا على الكلمات

تسكنه رؤى سوداء

يا أسماء

هل تلد الغرابة

غير هذا الصوت؟

عبد الله متهم

وعبد الله مكتمل

وعبد الله مشغول

وعبد الله مقتول

وعبد الله يدخل دورة الأحزان يسأل عن حبيبته

وعبد الله...!

ثمة هاجس يأتي من الوديان

أن دما يسيل

فهل ترى أحدا؟[1]

لاحظ أن الأشياء تسير عكس ما يتمنى «عبد الله» تمامًا، فإذا كان يريد أن يغلب، فإذا به مغلوب، وإذا أراد أن يخلع، فإذا هو مخلوع، وعبد الله تسكنه الرؤى السوداء، إضافة إلى صفاته المتعددة ، فهو متهم ، ومشغول ، وفي

(١) أحمد المصلح: تجليات فاطمة، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق ص ٢٧.

obeikandl.com

النهاية مقتول، لكنه ما زال يسأل عن حبيبته/ الوطن.

بهذا السؤال ينتهي الشاعر أحمد المصلح من أبياته، ويترك الإجابة مفتوحة للقارئ، الدماء تسيل.. هاجس الموت، الخوف، يطارده في كل زاوية.. وبعد هل ترى أحدًا، استفهام من الشاعر، وعدم الإجابة منه له دلالة كبيرة، وإيحاء الشاعر إلي القاتل واضح في أبياته، أما علامة السؤال فهي توضّح بأن القاتل أكثر من جهة واحدة، وأكثر من شخص واحد، وللشاعر أكثر من قصيدة تصور المأساة اللبنانية.

ويوجه الشاعر منصور البطاينة هجومًا عنيفًا تجاه الأمة العربية النائمة، في قصيدة له بعنوان «إن إسرائيل» مفعول به «ليست بفاعل»، يوضّح فيها الموقف العربي، ويندد بالصامتين عن إخوانهم، وبالمقابل يورد لنا صورًا بطولية من أرض المعركة، ويبين لنا أن إسرائيل لا تستطيع أن تقف أمام الأبطال، لولا مساعدة الأم الرؤوم أمريكا من جهة، والصمت العربي من جهة ثانية، ويلاحظ اختيار الشاعر لعنوان القصيدة، لدليل واضح على أحاسيسه الباطنية تجاه إسرائيل ومن يساعدها، وإن اتخذت ألفاظًا مغايرة، يقول:

قم وقاتل

لا تكن ضمن الفريق المتخاذل

إن إسرائيل في لبنان تجتاح المنازل

تمضغ الأطفال تقتال الحوامل

خوف أن يولد طفل فيقاتل[1]

يلاحظ أن إسرائيل (تمضغ)، و(تغتال) بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار، وتعدد الفعل مرارًا وتكرارًا، ثم يتابع الشاعر أبياته مقدمًا لنا صورة للبطولة من قلعة «الشقيف»، صورة للمقاتلين الذين لقنوا العدو درسًا لن ينساه، عدد قليل والتضحية كبيرة، والإرادة والتصميم تفوقت على جحافل الصهيونية. يقول:

قم وقاتل

«الشقيف» الآن ملك للأراذل

هاجموها بالجحافل

---

(١) الخليج الثقافي: ملحق العدد (١١٧٧)، يونيو ١٩٨٢م، الشارقة، ص ٦.

واجهتهم بثلاثين مقاتل

والملايين بأرض الشام صم وكأن الغزو

عادي، وعادل

سلبوها بعدما ألقوا عليها كل أنواع

القنابل

سلموها «سعد حداد»، وقالوا:

لك يا «حداد»، خذها إنها إرث

أهاليك الأوائل

وتهادى «سعد حداد» عليها يركل

التاريخ ركلاً متواصل

هكذا أكد لنا الشاعر في أبياته السابقة، أن الأمور أصبحت في يد أكبر العملاء للعدو، سعد حداد الذي أبدع في تنفيذ المخطط، وهو ما ذكرته بالتفصيل في مطلع هذه الدراسة.

يدعو الشاعر في أبياته إلى قتال العدو الإسرائيلي، ويورد لنا صورة الدمار والخراب الذي خلّفته قنابل العدو الصهيوني وصواريخه، ولم يقاتل إلا الفدائي الفلسطيني واللبناني، والباقي داخل في اللعبة بالمشاركة الضمنية متمثلاً بصمته المريب، يقول:

قم وقاتل

إن دبابات «بيجن» حولت «صور»

«وصيدا» فضلات ومزابل

الفدائيون صدوها وكانوا

سادة الموت البواسل

قم وقاتل

ليس إسرائيل إلا ذئبة في عين جاهل

يتحاشاها ليحيا فارسًا بين الأرامل

صنعوها بالدعايات، وقالوا: جيش

إسرائيل جبار وطائل

قم وقاتل

ليس إسرائيل إلا ظل أميركا الماثل

هل ترى فرقًا عزيزي بين زنديق ووسافل

ويؤكد الشاعر عمالة الكتائب، وتعاونهم مع العدو الصهيوني، وتمهيد الأمور لهم أثناء الاجتياح، بل واستضافة قادته مثل شارون في قصر بعبدا، يقول:

قم وقاتل

في «بعبدا» يجد المرء الهوائل

جيش إسرائيل فيها بدل القرش بشاقل

وأتى «شارون» ضيفًا عند بيار المخاتل

هل ترى بيار حقًا عربيًا يا أم فاضل

أم بأن العربي الآن يعني المتنازل!

ويفتخر الشاعر بصمود بيروت أثناء الحصار، ويرثي لحال الأمة العربية التي وقفت موقف الخلي المتفرج، أو إن شئت قل الداعم غير الرسمي لهذه الاجتياحات... يقول:

قم وقاتل

أن بيروت تدك الآن بالسلم اليهودي

لتهواها البلابل

باركوها من غيوم الجو أهدوها الزلازل

ثم جاءوا من حدود البر من كل السواحل

ليذيقوا أهلها طعم الأفاعي والسلاسل

أرأيتم مثل هذا السلم يومًا يا أم فاضل

ويحذر الشاعر في نهاية قصيدته من إسرائيل، ويقول بأن هذا المنظر ليس المنظر الأخير أو المشهد الأخير؛ لأن أطماع إسرائيل أبعد من لبنان، لذا عليكم بالنهوض، والقتال، وإلا سيجرفكم السيل إن بقيتم في غفوتكم وسباتكم، يقول:

قم وقاتل

أن غفوت اليوم فاعلم أن هذا النوم قاتل

إن أقاموا حكمهم في قلب بيروت ستَصلى

نارهم «بغداد» و«عمّان» «دمشقًا»، ثم يطوون

المماثل!

يلاحظ أن الشاعر يتخذ من الجملة «قم وقاتل» منطلقًا ينطلق منه لفكرة جديدة أو صورة جديدة، أو تعمل هذه الجملة بمثابة الدفقة الثورية للشاعر، ويلاحظ أن القصيدة وإن اتخذت اللغة المباشرة أو التقريرية، فإن ذلك لم يشب أحاسيسها وصدق شعورها وحرارة عواطفها، أي شائبة.

أما الشاعر إبراهيم الخطيب راح يسأل جراحه، وهو متشكك في عروبته، فالتاريخ يخبرنا بأشياء عن كرامة العربي، ولكن الواقع يخبرنا بعكسها، فيقول:

آخر الشعر في مشارف بيروت ... قواف بها القصيد ذبيح

أسأل الجرح من يعش على النزف ... سيوحي إلى الأفاعي الفحيح

يا جراحي يا مسرح القتل أنّا ... خلف عار السّتار من ذا يزيح

بتُّ في الشك إنني يعربي ... ربَّ نبت قد شابه تلقيح[1]

وفي الديوان نفسه قصيدة تحت عنوان «ثلاثية الدم: صبرا .. شاتيلا .. تل الزعتر» يقول:

يا صبرا

للصبر حدود

لن أقضي عمري صبرا

---

(١) إبراهيم الخطيب: «غن لي غدي» دار الجاحظ – عمان ١٩٨٤م، ص ١٧.

إما أن أصنع نصرا

أو أحفر قبرا!!![1]

أما الشاعر محمد مقدادي فيتذكر قتلى «الشقيف» فيشيد بهم وبدورهم في ساحة الوغى والقتال، فيقول:

وضعوا على كفيك قنبلة وقالوا

فجرّيها

فتفجّرت.. عيناك أغنية

يردّدها الخريف

وتجمّعت فيك الأمومة كلها في لحظة

وتعلّقت

آهات قتلانا

على صدر «الشقيف»[2]

أما الشاعر أبو فراس النطافي، فيصف حال اللاجئين والضحايا، ويوصي بالوحدة العربية التي انطفأت، ويوصي بعدم التفرق، فيقول:

عصفت بلبنان الليالي السود ... فالأرض نار، والسماء رعود

واللاجئون ضحية ذبحت على ... أرض العروبة، والجناة يهود

أبناء لبنان الحبيب تنبهوا ... ما هذه الأحقاد والتبديد

الدين لله العلي وأنتم ... متفرقون ودينكم توحيد[3]

ويصور الشاعر محمد الظاهر مذبحة صبرا وشاتيلا على صورة أغنية يغنيها لطفله الصغير حتى يشب هذا الطفل جاهزًا للثأر، فيقول في قصيدة له بعنوان «نم يا ولدي

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٢.

(٢) محمد مقدادي: أوجاع في منتجع الهم، مطبعة الحرية، أربد ١٩٨٤م، ص ٤٩.

(٣) أبو فراس النطافي: رحيق العذاب، الأردن، ١٩٨٢م، ص ١٥١.

obeikandl.com

نم» يقول فيها:[1]

نم يا ولدي نم

واذكر عند النوم

اذكر «صبرا»

أو «شاتيلا»

وتذكر شعبًا مقتولا

واذكر نهر الدم

نم يا ولدي نم

لكن قبل النوم

اعرف من قتلوك

واعرف من خذلوك

واعرف أي طريق

واعرف أي صديق

ينفع بعد النوم

نم يا ولدي نم

وانهض بعد النوم

انهض كالزلزال

لا تخش الأهوال

واعصف كالبركان

اشمل كل مكان

نم يا ولدي نم

---

(١) محمد الظاهر: قصائد لأطفال الآر بي جي، دار الكرمل للنشر، ط١، ١٩٨٤م.

obeikandl.com

هذه الكلمات البسيطة التي جاءت على لسان الشاعر، وهو يهدهد ولده قبل النوم، ويغرس فيه الشجاعة والبطولة. ويغرس فيه اليقظة والحيطة لمعرفة عدوه من صديقه، وعليه أن يتذكر دائمًا قبل النوم شهداء صبرا وشاتيلا، ولذا يجب أن يهب كالزلزال ويعصف كالبركان، ولذا غلب على القصيدة فعل الأمر الدال على الإصرار في غرس قيم معينة في الأطفال، وذلك من خلال الأفعال: «نم، اذكر، تذكر، اعرف، انهض، اعصف، اشعل...» مع ملاحظة أن فعل الأمر «اعرف» تكرار نحو أربع مرات في المقطع، ومعنى ذلك أن معرفة الشيء على حقيقته تسهم في إيجاد حلوله، فلو عرفنا حقيقة المأساة وأسبابها وأهدافها يسهل علينا مواجهة هذه الجحافل عن طريق قطع أذنابها.

وهناك الكثير من الشعراء الأردنيين تناولوا القضية بأحاسيسهم الملتهبة ومشاعرهم الجياشة، نذكر منهم: عبد الرحمن ياغي وقصيدته «أطفال صبرا وشاتيلا»، وخليل السواحري وقصيدته «أطفال المخيم»، ومحمد الظاهر وقصيدته «طفل من المخيم»، ويوسف عبد العزيز وقصيدته «حيفا تطير إلى الشقيف»... وغيرهم.

* * *

شعراء دولة الإمارات العربية المتحدة

تأثر شعراء الإمارات بمأساة لبنان، وبرحيل المقاومة الفلسطينية عنها، لقد فُجعوا بالأحداث الجسام التي حدثت فيها، كمذابح صبرا وشاتيلا، وكان وقعها كبيرًا على نفوسهم، وكذلك الحركة الوطنية اللبنانية كان لها من الوصف الرائع على لسان شعراء الإمارات هذه الحركة التي قدمت الشهداء مثل «سناء محيدلي»، و«ابتسام حرب»، و«نزيه القبرصلي» وغيرهم.

وهذه قصيدة طويلة رائعة على روح «سناء محيدلي» يوضح الشاعر فيها الهم والحزن العربي، والوضع المتردي للأمة العربية، والبطولة الرائدة التي قدمتها الفتاة العربية لتكون مثالاً يحتذى في هذه الأيام، هو الشاعر مانع سعيد العتيبة، يقول في قصيدة له بعنوان «رسالة من روح سناء»، وهي موجهة إلى الأمة العربية والإسلامية عامة، بل تمتد إلى الأمة الإنسانية، يقول:

فلتصمت الأبواق والخطباء ... قد آن أن يتكلم الشهداء
يا أمتي شعري رسول شهيدة ... غنّي ليوم زفافها الشعراء
كانت عروس بلادها لما مضت ... في موكب يرنو له العظماء
جعلت وصيتها لدي أمانة ... فأصابني يا أمتي الإعياء[1]

والعتيبة يتابع وصفه للشهيدة سناء محيدلي، العروس التي زفت إلى جنة الفردوس إنها أجمل حفل زفاف لسناء الطفلة، الفتاة التي لقنت جيش إسرائيل درسًا عن بطولة المرأة العربية، لقد أعادت أمجادنا السابقة، والتي تمثلت في النساء المسلمات اللواتي قاتلن في المعارك الإسلامية السابقة، وسقطن شهيدات، دفاعًا عن عقيدة أو أرض،

---

(١) د. مانع سعيد العتيبة: محطات على طريق العمر، أبو ظبي، ١٩٨٦م، ط٢، مطابع الفجر التجارية، ص ٢١.

ونعم الشهيدة سناء، ونعم كل من يسقط من أجل الدفاع عن دين الله، وللمحافظة على وطنه وعرضه، وليهنأ بالشهادة يقول:

وكتبت بالدم لا الدموع رسالة ... منها إليك وللحروق ضياء
إن الكتابة بالدماء ضرورة ... إن شاء هز ضميرك الشرفاء
يا أمتي هذي رسالة روحها ... فلتسمعي ماذا تقول «سناء»
يا أمتي، هل تذكرين صبية ... هامت بحبك، والهيام ولاء
أعطتك أغلى ما لديها، عمرها ... أيضيع عندك للمحب عطاء
يا أمتي آمنت منذ طفولتي ... إن الذين استشهدوا أحياء
وعد من الله العلي ووعده ... دين له عند اللقاء وفاء
أنا لا أمن عليك، هذا واجبي ... أديته ولي الخلود جزاء

حديث سناء محيدلي، الفتاة المجاهدة لأمتها، تشعر فيه بصدق النية، وقوة التصميم والإرادة، والإيمان بالله الذي يقول في محكم كتابه العزيز ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩).

ويؤكد لنا الشاعر بأن سناء قدمت روحها رخيصة من أجل الله، وحبًا في الشهادة، وتوجه سناء رسالة إلى أمتها التي تفرق في الدماء نتيجة الخلافات العربية، فالأخ يقاتل أخًا له، والعدو يقتل الاثنين معًا، ولكن الملاحظ الإيمان المطلق بقضيتها، وإيمانها بعدالة السماء التي ستعيد الحق لنصابه مهما تباعدت الأزمان، يقول العتيبة:

لكنني والليل فيك مخيم ... وعلى العيون غشاوة سوداء
وتراب أرضي جف نبع عطائه ... لا زرع فيه فيحصد الأبناء
وأخ يقاتل بالسلاح أخًا له ... فيسرّ من جهليهما الأعداء
ما للحضارة فيهما أثر ولا ... للجاهلية عنهما استغناء
تجتاح روحي غضبة قدسية ... وينيض منها للإله دعاء

والشاعر يدعو على لسان روح سناء رب العالمين أن يغير هذه الحال بأحسن

منها، وأن يزلزل الأرض تحت أقدام هؤلاء السفهاء الذين شبههم بالغربان والبوم، وهم مصدر الشؤم والخيانة والذلة لهذه الأمة، والاستعانة بالله مستمرة عند الشاعر من خلال أبيات قصيدته.. يقول:

يا رب زلزل أمـــتي بصـــواعق	إن ظل يحكم أمـرها الســفهـاء
أو ظلت الغـربان تنعق في الحـمى	بين الدمـــاء فـــلا يقـــوم بناء
أو بات الشـــؤم فـوق خـــرابهـا	متـغنيًـا فـيـروقـهـا الإصـفـاء
أو ظل فـيـهـا للخـيـانة منبـر	يدعـو إلى استـسلامـهـا فتشاء
يا رب زلزلها فـمـا في عـيـشـهـا	نفع ولا في مـــوتهـــا ضـــراء
ولـعل زلـزال الإلـه يـهـــــزُّهـا	فـيـفـيق من نوم الخنوع إباء
يا أمـــتي أيظل صـــوتي تائهـــا	تصـغي له الأنقـاض والأشـلاء؟
يا أمـــتي هذي الرســـالة لابنة	أعطتك مـــا لم يعطه الكرمـــاء
منحت ســراجك من دمـاء وريدها	زيت الخلود فـــمـــاله إطفـــاء
فلتـقـرأ الأجـيـال مـجـد سطورها	وليـفـهم البـسطاء والعلمـاء
إن الكتـــابة بالدمـــاء ولادة	للفـجـر، فليسـتـيـقظ القـراء

يذكر الشاعر أمته على لسان سناء، بأن هذه الأمة هي خير أمة أخرجت للناس، وراح يسأل الشاعر إن كانت هذه الأمة هي المقصودة بالآية الكريمة أم لا.. فإن كانت هي المقصودة فلم الذل والهوان؛ لأن أمة محمد ما عرفت الذل، ولكن أمرها الآن أصبح مجهولاً، وخبت شعلة الإيمان، وأصبحت ذليلة خانعة يقول:

يا أمـــتي هل كنت أفـضل أمـــة	فـتـخـيـرتك لما تريد ســمـــاء؟
هل أنت من أعطى لدين مـحـمـد	جند الفـــداء وعـــزَّ منك فـــداء
إن كنت أنت، فكيف لم تتـمـردي	حين اســتـحل ديارك الغـربـاء!!

وتنادي سناء محيدلي باكية حزينة على هذه الأمة، وتتقطع ألمًا لما أصابها من تفكك وانحلال، وأصبحت مقودة كالنعاج المسالمات. هذه سناء الفتاة الجميلة نقرأ رسالتها من خلال قصيدة مانع سعيد العتيبة، ولاحظ كثرة الأساليب الإنشائية من خلال الاستفهام،

والنداء، والتعجب، وغيرها وتغير الأساليب إيماء بضرورة تغير الأساليب العربية التي تتمثل في الصمت والاستكار.. يقول:

يا أمتي ظلم القريب أمر من ... ظلم العدو، وليس فيه عزاء
روحي تنادي والأسى يجتاحها ... يا أمة لعبت بها الأهواء
وتقاسم الزعماء حتى بؤسها ... فسعى لنيل رضاهم البؤساء
فهنا زعيم هادر وصراخه ... ما فيه للقوم الجياع غذاء
وهنا زعيم وزّعت أبواقه ... خبز الكلام ليشبع الفقراء
خطب وتصفيق ومجد زائف ... هل غير هذا قدّم الشعراء
يا أمتي أرض العروبة أصبحت ... سجنًا فهل يتحرَّر السجناء؟!!

في البيت الأخير إشارة إلى الأحوال داخل البلدان العربية وما فيها من ظلم وعسف وجور من جانب الحكام، ويختم الشاعر قصيدته بأبيات كانت بمثابة الصفعة لأمة عربية نائمة.. يقول:

يا أمتي هذي الرسالة بُلِّغَتْ ... بأمانة فليقرأ البلغاء
كتبت سناء حروفها بدمائها ... فحروفها الحرية الحمراء
وإليك أهدتها فإن لم تقرأي ... أو ضاع في استسلامك الإهداء
فعليك من روح الشهيدة لعنة ... هل أنت والحجر الأصم سواء؟

ومن خلال قصيدته سناء محيدلي، نلمح البعد الإسلامي عند الشاعر، فهو يرى في الإسلام منقذًا للبشرية، ولهذه الأمة التي أصبحت تسير بلا وازع أو رادع، ونخر السوس عظمها، فأين لها من أمة الإسلام السابقة.. الأمة التي لا تقبل بالذل، ولا ترضى الهوان، والبعد الإسلامي يتدرج تحته البعد الوطني، وحب الأرض، والأمة العربية.

كما نلمح فيها أثر التراث العربي، وتأثر الشاعر بالمتنبي، وأحمد شوقي في بعض أبياتها.

وهذه مأساة لبنان وجراح بيروت، وأبطالها عند الشاعر العربي عارف الخاجة، هذا الشاعر الذي أبدع في وصف بيروت وصفًا بديعًا وبيروت عند الشاعر هي الجنة،

البطولة، الفداء، الشرف، الخيل العابرة، السكين، الجرح، الرحيل، و لذنب العربي، بل الهم العربي، وهو يقول في قصيدة له بعنوان «سعد صايل». هذا البطل الذي قاد معركة بيروت ضد إسرائيل، لم يقتل أثناء القصف، ولكنه قتل بعد الخروج منها؟ سعد صايل نموذجًا للبطولة النادرة في هذا الزمن الجبان، يقول عارف الخاجة:

هي تفعيلاتك الكبرى مرايا

وانتعاشات وصايا

وطن يخلع عنه الكفنا

قام لله يغني الوطنا

قد ولدت الآن عشرين نبيا

وزمانًا أبديا

قد ولدت الآن شعبا

سوف يبقى

سوف يبقى

يأكل الصخر، ويرميه شظايا

يا فلسطين.. فلسطين.. سنأتي

خلف «سعد»

نحمل الشمس على الكفين مهرًا عربيا

هي أعراس الرسالات

مع العيد دفوف وبنادق

قد أتيت الآن صدرا

للمسيرات، وقامت البنادق

خلفك الموكب من «صبرا وشاتيلا»

obeikandl.com

يرش الأرض تفاحًا وزيتونًا، وغابات رتابق[1]

ويؤكد الشاعر بأن سعد صايل خسرناه جميعًا، وذهب ضحية للزعامات الواهية، وعرج الشاعر على ذكر اليهود، وذكّرنا بخبثهم وأحقادهم على مرّ الأزمان، منذ القدم حتى الآن، يقول:

ليس للأوس وللخزرج فتح في بعاث

قد ولدت الآن للأنصار دريا

ليس غير الثأر.. غير الثأر

ها هم قينقاع

والنضير

أيها القادم ريانا،

لأمواج الهجير

قد قرأناك منارات تغني للصواري

وتراتيل الصباحات الموشاة

برحلات الكناري

وفي قصيدة «بيروت - كيف نأتي» يقارن عارف الخاجة بين بيروت البطلة وبيننا نحن الضعفاء وبين بيروت الصامدة ونحن الهاربون، وبين الدفء والبرد، الخير والشر، والخصب والجدب بين أبطال ومتخاذلين، يقول:

عينان للتاريخ أنت الثانيه

بيروت يا دفئ الشتاء وموجة

تمتد في وهج القطوف الدانيه

مطرًا تحرق في الغيوب

ومولدًا للخيل ترقص في ربوع الباديه

---

(١) عارف الخاجة: بيروت وجمرة العقبة، الكويت: ص ٥، ٦.

obeikandi.com

بيروت يا ضد الغروب

وأنجما تختال في عرس المدائن والحروب

تلملم الأحلام في كفّين

حين تلملم التاريخ للفقراء

تبسط شعرها

فوق الزمان

وفوق عشاق البلاد النائيه[1]

لاحظ قوله «بيروت يا ضد الغروب»، وما فيها من كناية عن الإشراق الدائم، والبقاء المستمر، وكيف لا، وهي عروس المدائن التي تبسط شعرها فوق الزمان، ويتابع الشاعر أبياته مشبهًا بيروت بالفادة الحسناء، والكل يتجه صوبها ليبث خلجات قلبه وأحزانه المتراكمة.. يقول:

بيروت يا حسناء تحملنا

على نهد السواقي قبلتين

تحلّقان أمام شمس ثائره

نلقاك في روح السماء

وفي البراري

في عيون البحر ذاكره

بيروت هي الموئل، هي عيشة الأحرار، وأرض العروبة، والروضة، وقفنا نراقبها، كيف حوصرت؟ كيف سقطت؟ كيف رحلوا؟ ما سبب الرحيل؟ علام اتفق العرب أثناء حصارها؟ ماذا حدث بعد ذلك؟ أسئلة كثيرة نجدها على لسان الشاعر خلال أبياته المليئة بالنقمة والحسرة على هذه الأمة المتخاذلة، يقول:

بيروت يا روض العروبة وابتداء الأزمنه

---

(١) المصدر نفسه.

نحن الثكالى الهائمين الفارمين

نغلف التاريخ بعدها

ثم نبحث عن بقايا العمر بين الأرصفه

ونبيع عورات النساء على النساء

لقاء بعض الأرغفه

نحن الحيارى الفارقين المعدمين الصامتين

نقلّب الأوراق

علّ الغيب يخرج ناشرا

من مقلتينا الأشرعه

جئنا إليك في القيامة راكبين الدائره

نتقمّص اللحظات من بيروت طفلا

يرتدي عرق القصيدة.. يبتني

من لحم أمه صرخة

تمتد من عرش الشهيد إلى عروبتنا الشهيده

من رحى سجن العشيق

إلى فلسطين العشيقه

ويؤكد الشاعر على عمق الجراح الغائرة، وشدة الحزن، والمأساة لأهل بيروت العنيدة الصامدة، فيقول:

فإيه يا بيروت.. يا بيروت

في عينيك ينقض الصباح

وترقص الأعراس

تتهمر الشموس

obeikandl.com

وتفتح الأجراس للوديان

من صخب الجميع رسالتين وموجتين

ونحن ما زلنا نسائل مقلتيك،

ونسأل الصوت المدوي

كيف نأتي.. كيف نأتي

والعروبة أمّها في العيد حاخام الغزاة!!

وسبّحت باسم التنازل في الصلاة؟؟!!

لاحظ السطرين الأخيرين، وما فيهما من رمز وكناية، فالذي يؤم العرب في العيد «حاخام» - فهو الإمام، وعلينا الاتباع. وأصبحت صلاتنا «ترنيمات» التنازل عن حقوقنا المغتصبة...

أما قصيدة «بيروت.. النهر المتجمد» فهي مطولة رائعة، تقدم لنا صورة الفن العربي، والنكوص والتآمر الذي دار حول بيروت المحاصرة، وقد تجمدت الدماء العربية، وأصبحت باردة لا تعرف النخوة أو النجدة، ونلاحظ في هذه الأبيات توضيحًا للوضع المتردي، بل المزري لأمة العرب،التي أطفأت النور الذي جاء من فلسطين إلى بيروت، أحبت العيش في مواخير الظلام هكذا أرادت، ولم تقدم هذه الأمة لبيروت.. إلا برقيات التنديد والشجب، وربما بعد الاستئذان من ماكر غادر.. يقول:

فيا بيروت أتاك النصر يحدق من برقيات النكران[1]

وتتجلى إيحاءات الشاعر حين يورد صورة «لنزيه» الطفل الذي خرج مقاتلاً، لم نجد أحدًا يقف بجانب هذا الطفل حين سقط شهيدًا، وكل الرموز سقطت كأوراق الخريف التالفة حين تلقى بها الريح في مكان سحيق، ونلمح نقمة الشاعر، وحسه الثوري من خلال كل مقطع من مقاطع هذه القصيدة الثورية، ولكن النفس الوطني، والبعد القومي عند الشاعر نجدهما في قتال مستمر مع العجز العربي والجهل والقهر، والسجن العربي مكمّم الأفواه، مجتث الحرية وائدها إلى الأبد، وسجّانها يرتدي العباءة وينطق بالضاد، ولكنها ضاد تغلفها العجمة، يقول:

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٤.

طفل خرج الأمس إلى الألغام

ومر «بصيدا»

من ينكر في الجنة وردا

سلمها درسًا للقمه

نفثًا للعضة في الخيمه

قلنا:

والناس مع الحشر الأصغر

همس نوايا لقذائف

لا تفتح إلا سوءتها

لطوائف تخشاك طوائف

لا تزأر إلا في الطا...

طافت امرأة بك حبلى

مرت بعواصم موتانا

أخرجت عيونك زلزلة

أسرت...

والورق المكلوب الخائف

خافوك، ولست سوى «الواقف»

وبعدما وصف الشاعر الحال العربي المتخاذل بقوله: «عواصم موتانا»، يأتي إلى خاتمة القصيدة، مؤكدًا على عمق المأساة، وغور الجرح في الجسد العربي المنخور بالسوس الأمريكي.. يقول:

قنبلة تتنفسخ

في بيروت وفي الأوهام

وقنبلة تتوعدكم

obeikandl.com

قنبلة تترنح

في التابوت وفي الأعلام

وقنبلة تتخللكم

وله، والهادر في عيني

حتف يتصلب في حتفي

تتنفس أغنيتي بيني

صبرا، والهجر بها يكفي

قلنا:

وأتيت فتيلا

ورحلت فتيلا

وتركت وراءك

اثنين وعشرين فتيلا

ربما كان العدد في السطر الأخير «اثنين وعشرين فتيلا» يشير إلى الدول العربية القتيلة آية ذلك قوله ممرِّضًا بالأمة العربية «صبرا والهجر بها يكفي»، وإذا كانت الدول العربية تهجر صبرا، فهي إذن المقصودة في السطر الأخير. لقد غنى عارف الخاجة للشهداء، للمقاومة في بيروت، للحركة الوطنية اللبنانية، شعرًا يخرج إلى صدق العاطفة، يرمز إلى حب الأرض، والفداء والتضحية، ويدخل إلى زوايا الزمن المتفسخ بقبائله، ليرسم البعد الحقيقي، والطريق الصحيح لوطن يحيا على دم الشهداء.

أما الشاعر ناصر جبران، فقد كتب شعرًا عن مأساة لبنان، وعن رحيل المقاومة، ودبج قصائده بفخر بأبطال الحركة الوطنية اللبنانية.

يقول في قصيدة له بعنوان «ماذا لو تركوا الخيل تمضي» مبينًا عمق المأساة والهزال العربي، ومشيدًا بصمود المقاومة:

على حد السيف الزاحف

أمضي كالشفق المغسول بلون الدم

obeikandl.com

أنتزع الخوف

أزحف في بطء الليل

أجرجر جسدًا مشلولا

أقلّب أعضاء الصمت

فلعل الأخرس من ذاتي

ينطق

وأواري الرعشة في الجوف

أدخل ذاكرتي

أبحث عن اسمي.. عني

وعني يبحث عني، ويطول الدرب

وتمضي راحلتي تتعرج

مثل وريد القلب

أتعثّر.. أنهض.. أتعثّر

أكمل رحل الأيام الصدئة

أتلكأ كالمسلول ببيداء الماضي[1]

لاحظ تتداخل الضمائر في النص من خلال - مثلاً - «أدخل ذاكرتي.. أبحث عن اسمي.. عني.. عني.. يبحث عني..» هذا التداخل يشير إلى حالة التخبط التي يعيشها العربي، فلا يعرف عدوه من صديقه، أو هي حالة يعيشها العربي مع أخيه العربي.

الخيل تصهل في جنوب لبنان، وتستحث العرب على الوقوف بجانبها، وعدم كبح جماحها، بل إن الدماء النقية في جنوب لبنان تنادي أصحاب القيم والمبادئ، بأن يلبوا النداء ويكونوا معها في السراء والضراء، لحماية الأرض والإنسان من قطعان الذئاب

---

(١) ناصر حبران: ماذا لو تركوا الخيل تمضي - منشورات المجلس الثقافي اللبناني الجنوبي. واللجنة الدائمة لمناصرة المقاومة الوطنية اللبنانية - الإمارات العربية المتحدة: ص ١٨.

obeikandl.com

الجائعة.. يقول:

ويترك لبنان

أرضًا تتهشها ذئاب الليل

قوّس جثته وتحدّب

وحمى كل الأطراف

إلا النهر المبتور

كانت تعلكه الأنياب

هل كفّت ذئاب الليل

هل كلّت تلك الأنياب

لا.. بل زادت شرها

وجالت قطعانًا تتمخطر، والكل نيام

ويمضي صاحب الخيل في أبياته موضحًا الصورة السوداء التي وصل إليها العرب وأصبح لا يهمهم إلا الغانيات، والدولارات التي لا تساوي قطرة دم عربية أو دمعة طفل حائر، او صرخة ثكلى مكلومة، يقول:

لن تجدي هذي الدولارات

لن تغسل عار خيانتهم

لو فرشوا كل الأرض العربية ذهبا

ما ساوت شريانًا ينبض

ما ساوت طلقة جندي يسقط

أو دمعة طفل يتعثر بين الأنقاض

وماساة لبنان تجلّت في شعر محمد شريف الشيباني، لينقل لنا الألم والحسرة من خلال ديوانه «أعراس الضحايا»، وفي قصيدة له بعنوان «أيها التاريخ سجل» يتضح لنا أن الشاعر يبكي ويتحسر على الآلاف الذين سقطوا داخل بيروت أثناء الحصار، لقد

سقطت الضحايا من قبل العدو الذي حاصر بيروت برًا وبحرًا وجوًا . وجيوش الإسلام والعرب في نوم عميق، ونجد الشاعر يصرخ من شدة الألم، ينادي الأمة العربية لتنهض من غفوتها، بعدما طال سباتها العميق.. يقول:

إنه التاريخ

قد يشهد في أيامنا فصل عجيب..

وفريد في الغرابه

إنه فصل بتاريخ بني قومي

أقاصيص كآبه

إنه التاريخ..

لا يرحم من بارز خصما

بمقال أو خطابه..

كشفت مجزرة الغدر.. بلبنان..

لعورات، وسوءات المدارك..

إنه فصل..

يدين الصمت، في خوض المعارك.

اتضحت كل الاعيب،

الفنون القذرة...

انكشفت أقنعة الجبن..

وكانت في دهاليز الخفا..

مستتره...

من هو البائع والشاري..؟

ومن راهن في قبض الثمن..؟

تُرجمت كل الشعارات..

obeikandl.com

التي توحي بإعلاء الوطن[1]

يصرخ الشاعر داعيًا الأمة العربية إلى النهوض من نومها، والاستفادة من درس حصار بيروت، ويحفز الهمم خوفًا من التشرذم والاضمحلال لهذه الأمة التي باتت على حافة الهاوية بعدما ضاعت فلسطين، والآن لبنان على الطريق.

أمة العرب أفيقي..

من سبات وهنات..

واحفظي من درس بيروت

دروسًا للحياة

واستعيدي شرفا..

غالته إسرائيل عدوانًا وغفله..

درس بيروت..

هو العار الذي يصعب غسله..

والشاعر يؤكد على أن العار الذي لحق بالعرب أثناء حصار بيروت، يصعب غسله ونحن بهذه الصورة، أمة ابتعدت عن جادة الطريق، وتفرّقت بها السبل والأهواء. ولكن رغم العذاب، ورغم الدمار والشقاء الذي ألم ببيروت، فإن الصمود هو عنوان ونبراس هذه الأمة التي لم تستجب إلا لصوت الحق، وهذه الفئة القليلة لقنت إسرائيل وعملاءها درسًا قاسيًا في فنون الصمود والتحدي، والإيمان بالقضية، وهو درس لن ينسوه.. يقول:

إنهم أبطال قد خاضوا المعارك..

بأزقاق الشوارع

بالبنادق

شارك الشبان والأطفال فيها

---

(١) محمد شريف الشيباني: أعراس الضحايا - مؤسسة الموسوعة الخليجية في دولة الإمارات، ص ١٩.

obeikandl.com

في ممرات الخنادق

واجهوا ما أنتجت ترسانة العدوان..

(أمريكا) سلاحًا، وقتالاً..

ومشانق..

ليس يُعزى لبني صهيون..

في بيروت نصر أو غنيمه..

لا.. ولا.. كلا..

لتحرير فلسطين هزيمه..

هو عرس للبطولات..

التي تهتف كانت..

بالزغاريد..

أناشيد رخيمه...

هو حزن.. هو دمع

سال..

من صمت، وخذلان..

لأهداف جسيمه..

من خلال الأبيات السابقة يتبين لنا تمسك الشاعر بشعبه، ورغم كبر المأساة، وعمق الجرح، فإن الشاعر يسخر من الأمة العربية لسكوتها على حصار بيروت، واجتياح لبنان، واحتلال فلسطين، ويطلب منها أن ترفض المحتل، وينعت الشاعر هذه الأمة بالبله، والخرس، وإلا كيف تسمح لبني صهيون أن يدنسوا الأرض العربية؟ وهم واقفون لا يتحركون لنجدة طفل يصرخ أو لأرملة تبكي، يقول:

أمة العُرب اصمتي...

حتى المنام..

obeikandi.com

بل.. ولا تستيقظي..

واتركي صهيون في عدوانها..

تعبث غيا..

بفلسطين الفدا

ليل نهار..

علك ترضين ما لا ترتضي..

أو ترفضي..!!

إنها تجتاح «بيروت، ولبنان»..

وأرضًا، وبقاعا..

كل ذا لم تنهضي..؟!

كل ذا أمتي صامتة..

خرسا..

ولا تعترضي؟

كل ذا في مسمع الدنيا ومنظر

بلهاء..

إننا - حقًا - إذا ما نتصور..

إننا في مأمن..

إذ ليس من صهيون..

عدوان علينا يتكرر..!!

وحزن الشاعر وتأثره على رحيل الفدائيين الفلسطينيين من بيروت يبدو واضحًا من خلال مقاطعه المختلفة، ويشير الشاعر بصراحة إلى اللعبة التي حيكت ضد أبطال بيروت، ونفذت بتعاون من أطراف متعددة، رحل الشرفاء عن الأرض التي بكت دمًا عليهم؛ لأنها أحبت فيهم الرجولة، والبطولة، يقول:

obeikandl.com

نجحت صهيون في تشتيت

أبطال الكفاح..

والنضال...

نجحت في وضع أحرار الفدائيين

رهن الاعتقال

نجحت صهيون في أهدافها

اللاتي..

تخطط في دهاليز الخفاء..

هدف كان وفي أبعاده

ترحيل كل الشرفاء

ويؤكد الشاعر على الصمت العربي والخذلان والذل اللذين عما أمة العرب من شرقها لغربها.

أسمعتم.. يا ترى..أصوات

صيحات الثواكل..؟

أفهل طابت لكم أخبار بيروت..

وهاتيك الفضائل..؟!

أسمعتم لنساء تندب القتلى

من الأهل، من الصحب، من الولد،

وتشريد الموائل؟!

ويفخر محمد شريف الشيباني بالفلسطيني؛ لأنه الصامد والمدافع عن الوطن والأرض والعرض، هو الثورة، البركان، البذرة التي تنتج تثمر الأبطال لتسير على طريق الشهامة وقصيدته «أنا كل فلسطيني» تؤكد تلك الحقيقة، يقول:

أنا الصامد في الثورة..

obeikandl.com

وراضع مشعل الثوره

أنا البذرة..

سأغرسها نضالاً عبر تكويني

لتنمو عبرها الأجيال في شتى الميادين

أنا الصامد في الثورة..

أنا كل فلسطيني[1]

ويتابع الشاعر افتخاره بالفلسطيني؛ لأنه كل شيء حي يكافح عن الأرض، ويكافح عن العرض والدين، وفي المقطع التالي يلاحظ تكرار «المبتدأ» أنا، ولكن «الخبر» متغير، فهو أرض، وصقع، وشهداء، ووجدان، وصور، وصيدا، وبيروت، وقبر، ويلاحظ اختلاط الرمز «غسان كنفاني» - مثلاً - بالمكان «صور» - مثلاً - وبين ثبات المبتدأ/ أنا/ الفلسطيني، وتغير الخبر على امتداد القصيدة تكون الدلالة، يقول:

أنا الأرض التي تولد بركانا

أنا الصقع الذي يصنع أبطالاً وإنسانا..

أنا من «دير ياسين» أنا من «كفر قاسم»

أنا الأسود أيلول، و«تل الزعتر» الأحمر..

أنا «غسان كنفاني»

أنا الشهداء يوم الأرض..

أنا وجدان إنسان يصون شرف العرض

أنا «صور».. أنا «صيدا»

أنا «بيروت» في «لبنان»

أنا القبر الذي قد صار محفورا

بعزم السيف والساعد..

---

(١) المصدر نفسه: ص ٣٩.

عبارات وكلمات بسيطة جاءت على لسانه، وبساطتها لأنها صدرت عن عاطفة صادقة، صاحبها ينتمي لأمة العرب الذين ما زالت عندهم النخوة والشهامة وحب العرب والمسلمين، لذا نلمح في شعره مطابقته للواقع، ومعالجته لأمور الساعة، ولأحداث وهموم الأمة العربية.

وأما هاشم الموسوي، فقد تألم لمأساة لبنان الجميل، وأحزنه، ونهر الدم المتدفق من الأخوة، وآلمه أن تعربد عصابة صهيونية في لبنان، وتقتل الأطفال والنساء على أيدي العملاء، يقول في قصيدة له بعنوان «أنا لم أقصد الهجوم»:

ذاك لبنان والجراح نزيف ... مستمر يفيض منه الغدير
فتنة تترك القلوب فتاتا ... ورزايا يشيب منها الصغير
وثكالى تصايحت كأوز ... أثقل الثكل خطوها والمسير
هجروها فيا لبؤس الثكالى ... بعد ثكل ينتابها التهجير
هدموا الكوخ.. أهدروا الحق غدرا ... روّعوا الطفل والقتيل يخور
ودم الشيخ شاهد في ثراه ... أن تغشّاه «منكر ونكير»
ويح لبنان والقريحة تبكي ... ونفوس مطهرات تفور
قرب الصبح لم تظل طويلا ... عتمة الظلم والعذاب المرير[1]

والشاعر يتفاءل رغم الجراح، وأصوات الثكالى، وأنين الجرحى، بأن الظلم زائل والعتمة زائلة، وسوف يطل فجر مشرق بالنصر، لتنتهي رحلة العذاب المريرة.

ومن نافلة القول أن هناك العديد من شعراء الإمارات بكوا المأساة، وهالهم ترويع الآمنين، نذكر منهم على سبيل المثال، الشاعرة العنود، وقصائدها «دمي فصيلة نادرة»، «مدينتان تحت سماء واحدة» وغيرها...

* * *

(١) قيلت هذه القصيدة في عيد ميلاد الجامعة العربية الخامس والثلاثين، وألقيت في الأمسية الشعرية التي أقامتها الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بمسرح مدينة تونس يوم السبت ٥ من جمادى الأولى ١٤٠٠هـ - الموافق ٢٢/ ٣/ ١٩٨٠م، نقلاً عن مأساة بيروت: ص ٥١٠.

شعراء البحرين

الشاعر لا تحده الأقطار، ولا تضمه الديار، ينفعل بالحدث أينما كان، يشعر بآلام المتألمين، ويصرخ لدموع الجرحى، وقد كان لمأساة لبنان الأثر العميق لدى شعراء البحرين، فقد أحدثت تلك المأساة صدى قويًا لدى البحرينيين، ومن هؤلاء الشعراء الشاعرة منى غزال التي راحت تبكي الأمة العربية من خلال تلك المأساة التي كشفت المخادعين وأسقطت القناع عن المرائين والمزايدين. فالقضية لم تكن قضية لبنان إنما هي قضية أمة تتاجر بالزيف، تقول الشاعرة في قصيدة لها:

شرائعنا ضحايانا

هذي ضمائرنا

هذي ضحايانا

هذي شرائعنا

لحن جديد اللون أرهقنا

حتى حفظناه

افيونه سافر في آلامنا

خدَّرها .. فامتصصناه

(...) هذي شرائعنا

قتل، وبارود ونيران نضاجعها

شيطاننا سلطاننا بالسر منتحر

(...) لا عرف يجمعنا - أو ماء.. ولا دم أو لغة أو بيتًا يومًا بنيناه

هذي شرائعنا تحاكمنا

تحكمها

ونترك للتاريخ أوراقًا يسوِّدها

وآمالاً يبدِّدها!!![1]

لاحظ تغيُّر الدلالة في كلمة «شرائعنا»، فهي تارة الأعراف والتقاليد المتوارثة، والتي أصبحت ضحية لنا، نلعب بها، وهي أحيانًا تمثل شريعة الغاب، فهي قتل وبارود ونيران. ثم لاحظ قولها «شيطاننا سلطاننا»، فدلالة تركيب الجملة، بتقديم «الشيطان» على «السلطان»، وكأنها تعرِّف الشيطان فتحصره في السلطان فقط، أو أن السلطان هو عينه الشيطان.

ثم لاحظ - أيضًا - أن الحروب العربية/ العربية، متمثلة في الحرب الأهلية في لبنان، تعطي دلالة وإشارة إلى أنه لا عرف يجمعنا، لا ولا ماء ولا دماء، ولا لغة، ولا حتى دين واحد نلتف حوله ونرفع لواءه.. وهكذا أصبحنا في مهب الريح يحركنا التاريخ ويلقي بنا في مكان سحيق، بعدما بدد آمالنا وحطم أحلامنا، على صخرة الخلافات العربية/ العربية، التي ما زلنا نعيشها حتى اللحظة!!

* * *

(١) الخليج الثقافي العدد (٢٧٥٠)، نوفمبر ١٩٨٦م، ص ١٦، نقلاً عن مأساة بيروت، ص ٥٥٨.

obeikandl.com

شعراء المملكة العربية السعودية

لم يقف شعراء المملكة تجاه مأساة لبنان، والحرب التي حولتها إلى جحيم، من شدة القصف، والقتل، وتدمير المدن والقرى، وارتكاب المذابح مثل تل الزعتر، ومذابح صبرا وشاتيلا وقانا مكتوفي الأيدي، بل راحوا يصرخون بحناجرهم، منددين بالأفعال الغاشمة تجاه الشعب الأعزل، وكان على رأس شعراء السعودية، الشاعر الكبير غازي القصيبي الذي كتب قصيدة رائعة في صورها وأسلوبها، ومطابقتها للحال الذي نعيشه، هذه القصيدة مهداة إلى أبرياء تل الزعتر.. وصبرا وشاتيلا.. والمجازر الآتية.. يقول غازي القصيبي في قصيدته «نهر من دم» موضحًا فيها بأن نهر الدم العربي ما زال يتدفق بغزارة، ويشن الشاعر هجومًا على الزعماء العرب الذين يراقبون سفك دماء شعبهم من بروج عاجية، ولا يحركون ساكنًا، ولا يوقفون متحركًا، يقول منتقدًا:

نهر من الدم.. فامشي فيه واغتسلي ... من الجنابة.. يا أنثى بلا خجل
تاملي جثث الأشياخ.. وانفعلي! ... وطالعي جثث الأطفال.. واشتعلي!
ماذا يخيفك؟ هل بعد الحمام ردى؟ ... وهل سوى الأجل المحتوم من أجل؟
ها أنت.. فقومي الآن وانتفضي! ... قد يصبح الموت ميعادًا مع الأزل[1]

الأنثى التي يقصدها الشاعر، ويخاطبها هي الأمة العربية المغلوب على أمرها.. تلك الأنثى أمامها نهر من الدم، وعليها الاغتسال من الجنابة حتى تتطهر من نجاستها، وعلى تلك الأنثى/ الأمة العربية أن تطالع الأطفال والشيوخ، ولا تخف، فليس بعد الحمام من ردى.

ويتصاعد نفسه الشعري الحزين على أمته، ومع نهر الدم العربي، قائلاً:

---

(١) جريدة الجزيرة - نهر من دم - شعر الدكتور غازي القصيبي، ص ١١، الأحد ١٦ من صفر ١٤٠٤هـ - نوفمبر ١٩٨٣م، العدد (٤٠٧٠).

نهر من الدم فامشي فيه وارتشفي حتى الشمالة.. يا أضحوكة الدول

قالوا «فلسطين».. قلت الحين عاجلها فاستسلمت لمدى الجاني على عجل

ويؤكد الشاعر بأن الزعامات كلها فرحت لما حدث لفلسطين، وما يحدث لهم في ولبنان من قتل وتشريد وترحيل... وأن تلك الزعامات ألقت التهم على بعضها عساها تنجو من عذابات الضمير، فيقول:

«أبو فلان» يغني فوق جثتها كما يغني غراب وحشة الطل

يقول: ما الذنب ذنبي.. إن قاتلها «أبو فلان».. ومن أغواه بالحيل

قتلتموها جميعًا إن واحدكم «أبا الخديعة» أضحى أو «أبا الدجل»

ونحن من خلفكم.. ما بيننا رجل لم تخضب يده بالأحمر الهطل

يصرح الشاعر بأن أمة العرب اعتادت على الشقاق، والهزيمة أصبحت عنوانًا لها، وجرائم زعماء أمة العرب في كل مكان، تشهد عليهم بمضاء عزيمتهم، وسكينهم الذي يذبحون به شعبهم، وينتفخون في محافل الود، ويتزاورون على شعوبهم، يقول:

قالوا العروبة.. قلنا أمة فطرت على الشقاق فصارت مضرب المثل

في كل شبر زعيم رافع علما يقول: إني وحيد الناس في مثلي

تمشي الهزيمة مشيًا فوق منكبه لكنه باحتفال النصر في شغل

في كل شبر زعيم مدَّ قبضته على الجموع.. فلم تفعل.. ولم تقل

في كل شبر زعيم مَنْ ينافسه على الزعامة.. أضحى طعمه الأسل

قدم لنا الشاعر صورة واضحة للأمة العربية المتقاتلة مع بعضها، والعدو يضرب الشعب العربي في بيروت وفلسطين، ويذبح الأطفال في مخيمات جنوب لبنان، ويحرقهم بقنابله، وسيف الأمة العربية مغمد، ولا يسل إلا في وجه العربي، لقد أصبحت الأمة أضحوكة الزمن بسبب التخلف والجهل والاستعمار الذي يدير المركبة، وكأنه يستلهم أحاسيس المتنبي، في قوله:

..... يا أمة ضحكت من جهلها الأمم[1]

---

(١) من قصيدة يهجو المتنبي بها كافور الإخشيدي، ومطلعها:

من أية الطرق يأتي نحوك الكرم أين المحاجم يا كافور والجلم

انظر: شرح ديوان المتنبي لأبي البقاء العكبري: ٤/ ١٥٠.

و قصيدة أخرى للشاعر عاري القصيبي [illegible] قصيدته صورة سناء المشرقة، الشهيدة التي [illegible] الصديق

[illegible] الشاعر القصيبي يوم الشهادة وما [illegible] في عين [illegible] انتصب في عينيها، نسمعها وهي تقبّل وداعه [illegible] تنطلق إلى زفاف الخلود. انطلقت دون وداعنا نحن الأقزام والأصنام، فكانت قصيدة، تقبلها صباح مساء، يقول:

أوت إلى فراشها

في جبينها وصيه

وفي العيون السود شعله

غاضبة شهيه

واستيقظت

فودعت صباها

وقبّلت جبهة أمها

ولثمت أباها

وانطلقت إلى الزفاف بالمنيه

وأصبحت شهيدة أسطورة فريده

في العالم الموبوء بالأقزام والأصنام

والقصيدة

سناء..[1]

ويؤكد الشاعر بأن سناء حققت ما لم يستطع الرجال تحقيقه، لذا يطلب الشاعر من الرجال أن يتحجبوا فهم والنساء سواء بسواء، عليهم أن يتواروا خلف الستار، فقد فشلوا في الحروب، وفشلوا في إثبات الرجولة، فليتهم يصبحوا نساء، ربما يلدن مثل سناء، يقول موجهًا خطابه لسادة القبيلة العربية:

---

(١) الخليج الثقافي ملحق العدد ٢٥٢١ رقم ٢٥٤، الاثنين ١٥ من جمادى الثانية ١٤٠٦هـ - فبراير ١٩٨٦م، الإمارات العربية المتحدة، ص ٤.

obeikandl.com

يا سادة القبيله

كي لا تمر عينهم النبيله

يا أيها الرجال

تحجَّبوا يا أيها الرجال

قد فشلتم كلكم

في حومة النضال

وقد مريتم كلكم

حين حمي القتال

لم تقدروا أن تصبحوا رجال

فحاولوا أن تصبحوا نساء

وحاولوا أن تلدوا

صبية وحيده

أن تلدوا

سناء

ولغازي القصيبي - أيضًا - قصيدة عن حرب تموز ٢٠٠٦م يخاطب فيها رجال الجنوب، يعزيهم ويشد من أزرهم، فهم وحدهم في معرك القتال، لا أحد يشد من أزرهم، ماتت الهمم العربية، وتفرقت النخوة في متاهات الضلالة، يقول:

وفي كل يوم تموت.. وتحيا

تموت.. وتحيا

كأنك - وحدك - خلّ الحياة

وعشق الممات

وفي كل يوم نجيئك..

obeikandl.com

نحتضن الطفل في مهده

ثم نتلو عليه طقوس الوفاء[1]

وأطفال صبرا وشاتيلا، وحصار بيروت، ومأساة لبنان، والوضع المتردي للأمة العربية نجد ذلك كله عند الشاعر عبد المحسن مسلم في قصيدة له بعنوان «تصحيح في معلقة عمرو بن كلثوم»، ويوضح الشاعر الصورة القائمة، ويبين لنا بأن العرب وقفوا متفرجين على مذبحة صبرا وشاتيلا، ولم نسمع منهم إلا التهديد والوعيد والتنديد والشجب، والمقولات المعهودة في أي مناسبة، وقد استهل قصيدته بقوله: «عندما تكون القصيدة سببًا في بكاء الشاعر تصبح مصلاً ضد النسيان».

والشاعر في القصيدة يستلهم نصًا عربيًا جاهليًا يعدُّ من أبدع ما أنتجته القريحة العربية، وهي معلقة عمرو بن كلثوم، وهي نصٌّ يمثل الإباء العربي، والكرامة العربية التي ضاعت أو كادت أن تضيع بفعل فاعل مشهور ومعروف.

والشاعر في القصيدة يبدو معتذرًا عن واقعنا العربي الراهن، آية ذلك جملته الشعرية «أبيت اللعن»، والتي أراها تتناص مع قول النابغة الذبياني معتذرًا للنعمان:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني ... وتلك التي أهتم منها وانصب[2]

ولكن شتان بين الاعتذارين، وشتان بين الموقفين!! يقول عبد المحسن مسلم:

«أبيت اللعن» عذرًا إن هذي ... قصيدتي التي كانت جنينا
قصيدتي التي ستظل تبكي ... دمًا حرًا أمام السامعينا
ولا نبكي «لأعراض الصبايا» ... ونركض «للسلام» إذا دُعينا
وعند صفار «شاتيلا» وقفنا ... على أشلائهم «متفرجينا»
و«صبرا» تستغيث ولا مجيب ... كأن صراخها أمسى لحونا
وكم بالثأر هددنا «وقلنا» ... سنفتك بالطغاة المعتدينا
سنسحق كل طاغية حقير ... ونشرب من دماء الظالمينا
ونبني من جماجمهم صروحا ... ونملأ من سبايام سجونا

---

(١) صحيفة الحياة اللندنية في ٢٤/ ٨/ ٢٠٠٦م.

(٢) ديوان النابغة الذبياني، شرح د. عمر فاروق الطباع، دار القلم - بيروت: ص ٢٤.

ونطعم من لحومهم الضواري ... ونرمي للكلاب.. الميتينا
على أشلائهم سنقيم عرسا ... ونرقص في مآتمهم سنينا
وأن «القدس» سوف تعود يوما ... ونحن بذاك أقسمنا يمينا
سنمسح دمع «صبرا» بانتقام ... وبالأبطال سوف نرد «سينا»
ونهدي جرح «شاتيلا» شفاء ... وفي «الجولان» نفدو الحاكمينا[1]

وبعد هذه المعاني ذات البعد الدلالي الواضح، وهو تفكك الأمة العربية، وانهزامها وكلامها الكثير، وفعلها القليل، يختم قصيدته قائلاً:

فكم يعزى إلى «الإسلام» ذنب ... وكل الذنب ذنب «المسلمينا»

نعم العلة ليست في الدين، ولكنه في الأمة التي ابتعدت عن دينها وانحرفت عن جادة الطريق.

الحرب الأهلية التي عمّت لبنان، وتسببت في خرابه، واستبدلت الخراب بالجنان الغناء، هو ما جعل الشاعر عثمان بن سيّار المحارب يقول في إحدى خماسياته:

أين لبنان الشواطي والجبل ... والثقافات ضرورياً والمثل؟
كان - ياما كان - شعب ههنا ... حدث التاريخ عنه يا طلل
صرخ الشيطان في أرجائه ... فتهاوى جبلاً إثر جبل
وأمّحت آياته في فتنة ... مثلها ما كان في شتى الدول
لا تسلني إنهم أبناؤه ... همج لم يرحموا فيه الأمل[2]

أما الشاعر عبد الرحمن صالح العشماوي، فقد كتب قصيدة بعنوان «أهذه أنت يا لبنان» وضح فيها ما أصاب هذا البلد من تدمير وخراب، وأورد صورًا للأطفال الذين شردتهم الحرب، وأخرى للنساء اللواتي يصرخن استغاثة بأمة العرب والإسلام، يقول متحسّرًا على لبنان وبيروت وعلى الدماء الطاهرة التي أريقت، وما زالت تراق يقول:

---

(١) جريدة الخليج - الخليج الثقافي - ملحق العدد ٢٤٣٣ رقم ٢٤٤، الاثنين ٤ من ربيع الثاني ١٤٠٦هـ - الموافق ١٦ من ديسمبر ١٩٨٥م، ص ٨.

(٢) عثمان بن سيّار المحارب - خمسة أبيات - دار العلوم، الرياض، ١٩٨٧م، ص ٢٩.

ويح قلبي، ومـــا لذلك يبكي ... وعليـــه الدمـــاء كـــالأرجـــوان
ما لتلك الفتاة تصطحب الأطفال ... تجـــري بهم بفـــيـــر توان؟
ما لتلك البيوت تهدمها النيران ... حـــتى غـــدت بلا بركـــان؟
أين هذا المكان من صـفـحـة الأر ... ض، أجبني يا صاحبي ما دهاني
قـال لي والأسى على شـفـتـيـه ... إنمـا أنـت فـي ربـى «لـبـنـان»
لهف نفـسي، أهذه أنت يا لبنان ... يـا بلـدة الـرضـى والأمـــــان؟
لهف نفـسي، أهذه أنت يا بيـروت ... أصـبـحت كـتلة من دخـان
أدمـــاء تـراق ظلمًـــا، وقـــتل ... يتـجـافى عن صـبـغـة الإنسان[1]

يؤكد الشاعر بأن هذا الدمار، وهذه المصائب من فعل العدو الصهيوني وعملائه في لبنان، ويدعو الشاعر إلى العودة إلى الإيمان، والتمسك بالقرآن الكريم، والأخذ من أحكامه، حينئذ ترفع الظلم عن أمة العرب..

أمـتي إنهـا مـصـائب عـصـر ... نظمـتـهـا أصـابع-العـدوان
سلبـونا حـقـوقنا ورمـونا ... بـضـــلال الأديـان والأذهـان
وأثاروا في أرضنا مـــا أثاروا ... من خـلاف في أحـرج الأحـيـان
فـأفـيـقي يا أمـتي وازيلي ... ظلـمـــات الطـريـق بالإيمان

نلمح من هذه الأبيات البعد الإسلامي الواضح، الذي يرى أن القوة في التمسك بالدين، وأنه لا خلاص للأمة من كبواتها المتعددة إلا بالعودة الصادقة والخالصة لله.

أما قصيدة «شهداء صبرا وشاتيلا» للشاعر محمد بن سعيد الدبل، ففيها نجد اللوعة والحزن على أناس ذهبوا ضحية الغدر على أيدي عصابة مارقة ملحدة، ونجد وصفًا كاملاً لمشاهد مذبحة صبرا وشاتيلا التي نفذت على مرأى ومسمع من العالم العربي والإسلامي، ولا حراك.. يقول:

قـدر سـابق وروع نار... أين سـرنا والأبرياء أين سـاروا؟

---

(١) عبد الرحمن صالح العشماوي - إلى أمتي - مطابع النهضة، الرياض، ط٢، ١٤٠٠هـ، ص ٥٦.

[illegible]

[illegible]

سطر [illegible] والدم والنار فهذا طريقنا والقرار..[1]

إذا حدّد الشاعر خريطة الخلاص، فهي: أشلاء، ودم، ونار، وقرار جريء، وعن طريقها يكون التحرير. ثم يقدم الشاعر صورة حزينة للأمهات اللواتي فجعن بقتل صغارهن على يد الأجنبي الغادر الذي ضرج دماء الأطفال والعذارى، والأرامل والثكالى، فيقول:

وعزائي في الأمهات اللواتي حول أشلائهم ضجّ الصغار
صاح في الدار غادر أجنبي يوقد الحقد وسط عينيه نار
ضرج الكف من دماء العذارى ودعا الطفل أرعبته الشفار
يا قتيلاً نعاه كل فؤاد.. لغة السيف في رثاك شعار
نتقي الله في الشيوخ اقتتالا واللواتي في طبعهن انكسار
كيف بالطفل لائذًا مستغيثا غوثك الله فالطواغيب جاروا

أما الشاعر أحمد سالم باعطب، فيقول على لسان اللاجئ الفلسطيني الذي دُمرت خيمته في تل الزعتر بأيدي العملاء العرب، يقول الفلسطيني بمرارة وحسرة على ما آلت إليه أحوالنا، موجهًا حديثه لهؤلاء العملاء، يقول باعطب في قصيدته «قناع يتمزق على تل الزعتر»:

أمصوّبًا سهم الردى نحوي وكنت له الأمل
متوّجًا من حقده الأعمى طريقي بالأسل
بالأمس كنت تهشُّ لي وتذيقني أحلى القبل
آثار مبسمك الجميل على خدودي لم تزل
فعلام تجنح للصدود ألا حياء، ألا خجل!!

---

(١) محمد بن سعيد الدبل – معاناة شاعر، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ، ص ١٧.

بالأمس كنت لك الضياء وكنت درعك في المحن
فعلام خُنتَ ولم تصن وقلبت لي ظهر المجن؟!
هل كنت تخدعني وأنت تردِّد القسم العظيم؟
كيف اجترأت فسدَّدت يمناك سهمًا في الصميم؟[1]

ويظل الشاعر في تساؤلاته الحيرى، ولكن من يجيب، ربما ترد الأيام بإجابات لهذه التساؤلات.

وإذا كنا نحب أوطاننا، فإن حب سناء - وغيرها من المناضلين - يختلف عن حبنا، مغاير له، حب ينحو إلى الجد والعمل البناء من أجل وطن حر، وهذه القصيدة للشاعر حسين عرب يشيد بمآثر عروس الجنوب وبطولاتها وإقدامها وإيمانها بعروبيتها ووطنها وصبرها على الشدائد والمحن، فيقول:

اكتبي تاريخنا باللهب وارسميه بشظايا الغضب
واتركي كل جبان غادر يمضغ الأقوال باسم العرب

وسناء، معلمة أجيال، مدربة الجيوش العربية على السلاح الثقيل، وإذا كانت جيوشنا العربية لم تحقق أحيانًا الظفر على جيوش أعدائها، فإن سناء حققت ما عجز عنه الرجال، فهي شابة قادمة من أعماق التاريخ، جاءت لتعلمنا كيف نحمي أنفسنا، كيف نصون أعراضنا.... فيقول:

يا ابنة التاريخ في إشراقه نشوة الفتح وومض الغلب
ضاعت الأيام من إسرافنا في أباطيل الهوى والكذب
علمينا كيف نحمي أرضنا من حمى الشرق لأقصى المغرب
علمينا كيف نجني حقنا من يد الظالم والمغتصب

ثم يصور الشاعر عروس الجنوب، تلك الشابة الصغيرة بطبي يشعل النيران في أعدائه، وإذا كنا قد ألفنا الفتيات يرفلن في ثوب الطهارة والبراءة، فإن سناء أضافت لهن ثوب الشجاعة، فيقول:

---

(١) أحمد سالم باعطب: الروض الملتهب، النادي الأدبي، الرياض، ١٤٠٠/ ١٩٨٠م، ص ٧٢.

يا غـزالاً أشـعل النيـران في صـائديه كـالأتون الصـيب

مـا عـهدنا الظبي إلا نافـرًا من سـهام الصـائد المرتقب

فـإذا الظبـى قضـاء مـبـرم من قضـاء الله لم يحـتـجب

دمَّـــر الأعـــداء أسطولهم، ورمـاهم بالوجى والعطب

شـهـب هبت عليهم نارها أين منهـا قـاذفـات الشـهب؟[1]

ورغم أن بطلتنا الشهيدة صغيرة السن فإنها ناضجة العقل، ثابتة الجنان، قامت بمهام عظيمة تصعب على أولي القرار السياسي في أوطاننا، فيقول:

يا ابنة العـشـــر وسـبـع بعـدهـا قـــد طويت العـــمـــر طي الكتب

يا سـناء الشـــــرق، يا لمـح السنا شـعٌّ مـن بين ظلام الغـــيـــــهب

هكذا تبارى شعراء المملكة العربية السعودية في تصوير المأساة بكل تفاصيلها ودقائقها، معبِّرين عنها بأحاسيس صادقة وقلوب ملتاعة.

* * *

(١) حسين عرب، صحيفة الجماهيرية، الجمعة ١٢ من رمضان ١٣٩٤هـ من وفاة الرسول، ٣١ من مايو ١٩٨٥م.

obeikandl.com

سوريا

استطاع الشعراء السوريون أن ينقلوا المأساة إلى العالم عبر أشعارهم، ومن أهم هؤلاء الشعراء نزار قباني، فقد كتب قصيدة بعنوان «السمفونية الجنوبية الخامسة» بث فيها آلامه وأحزانه، وعبّر فيها عن فخره وسروره لأهل الجنوب اللبناني، مجسدًا البطولة، والمأساة – في آن واحد – التي يعيشها الشعب اللبناني في الجنوب، تحدث عن أهلها وبطولتهم، ذاكرًا أماكن ورموز مهمة عند الشيعة مثل كربلاء وغيرها، يقول فيها:

سميتك الجنوب

يا لابسًا عباءة «الحسين»

وشمس «كربلاء»

يا شجر الموت الذي يحترف الفداء

يا ثورة الأرض التقت بثورة السماء

يا جسدًا يطلع من ترابه

قمح.. وأنبياء..

اسمح لنا بأن نبوس السيف في يديك

اسمح لنا أن نعبد الله الذي يطل من عينيك

يا أيها المغسول في دمائه كالوردة الجوريه

أنت الذي أعطيتنا شهادة الميلاد

ووردة الحريه[1]

---

(١) نزار قباني – السمفونية الجنوبية الخامسة، مجلة كل العرب، ١٠/ ٣/ ١٩٨٥م.

يواصل نزار قباني افتخاره بالجنوب، الذي شبهه بالسنابل، والنجمة، وشتلة التبغ، وأضفى عليه هالة كبيرة وخروج عن الواقع، النقي التقي، ويبدو أن الشاعر أعطى الأبيات صفة عقائدية ترتبط بعقيدة أهل الجنوب، ولا نشك في أن جنوب لبنان قدم أبطالاً، وكان منارة للحرية، ولكن الشاعر تناسى دور المقاومة الفلسطينية في صمفونية الجنوب، وتناسى الحركة الوطنية اللبنانية، وأكد على دور السواد، وكربلاء، والحسين في حرب الجنوب، هذا الجنوبي الذي قاتل كل من فيه حتى الحجر والشجر وحبات الرمل...

سميتك الجنوب

سميتك المياه والسنابل

ونجمة الغروب

سميتك الفجر الذي ينتظر الولاده

والجسد المشتاق للشهاده

يا آخر المدافعين عن ثرى طرواده

سميتك الثورة، والدهشة، والتعبير

سميتك النقي، والتقي، والعزيز، والقدير

سميتك الكبير، أيها الكبير...

سميتك الجنوب...

ويؤكد الشاعر على بطولة الشيعة في الجنوب، ويرمز إليهم بفاطمة - لاحظ دلالة الاسم الذي يحمل معنى عميقًا لدى الشيعة - التي تحمل الرايات، واللون الأسود الذي يسيطر على أبياته، لون راية الشيعة السوداء.

«فاطمة» تجيء من «صور»، وفي ثيابها

رائحة النعناع والليمون

«فاطمة» تجيئني، وشعرها

يشبه هذا الزمن المجنون

obeikandl.com

«فاطمة» تأتي، وفي عيونها

خيل.. ورايات.. وثائرون

هل الحروب يا ترى؟

تمحق السواد في العيون؟

الشاعر ينتقل بنا ليتحدث عن بطولات الجنوب، ممثلة في قرية «معركة»، قرية صغيرة الحجم، أهالي معركة يعرفون بعضهم جميعًا، معركة أملها أكبر من مساحتها، ضربت أروع مثل في البطولة، في دفاعها عن شرف الأرض والعرض، وكرامة الأمة العربية المتخاذلة، ويعتمد نزار على مبدأ التناقض، قرية قليلة السكان، صغيرة المساحة أفضل بكثير من وطن بأكمله كبير المساحة، ولكن أهله غثاء كغثاء السيل، يقول:

سيذكر التاريخ يومًا قرية صغيره

بين قرى الجنوب، تدعى (معركه)

قد دافعت بصدرها ...

عن شرف الأرض، وعن كرامة العروبه

وحولها قبائل جبانة..

وأمة مفككه...

من بحر «صيدا» يبدأ السؤال

من بحرها يخرج آل البيت كل ليلة

كأنهم أشجار برتقال

من بحر «صور» يطلع الخنجر، والوردة، والموال

ويطلع الأبطال...

يختم الشاعر سمفونيته مقررًا بأن الجنوب هو البقية الباقية لهذه الأمة النائمة الجنوب هو الأمل الأخضر لنا وسط صحراء جافة ماتت خصوبتها، وأنه الطريق إلى النصر، وهو القمر في ظلمة الليل الحالكة، وهو الأمل وسط المدن المكبلة والمفككة.

يا سيدي الجنوب

في مدن الملح التي يسكنها الطاعون والغبار

في مدن الموت التي تخاف أن تزورها الأمطار

لم يبق إلا أنت.

تزرع في حياتنا النخيل، والأعناب، والأقمار...

لم يبق إلا أنت.. إلا أنت.. إلا أنت....

فافتح لنا بوابة النهار

يلاحظ أن تكرار الضمير «أنت» يوحي بيأس الشاعر من الأمة العربية.

وقصيدة أخرى له بعنوان «آخر عصفور يخرج من غرناطة» يوضح فيها نزار قباني حالة البؤس والشقاء التي تلاحق الإنسان الفلسطيني، وبخاصة مرحلة الرحيل من بيروت إلى المواصم العربية الجديدة، ويصف بيروت بعد خروج المقاتلين بالأرملة، بالدجاجة الكسيحة، رحل العاشقون المدافعون عنها، وكان رحيلهم نهاية الطريق، وافتقاد الأمل.

الماء في عينيك زيتي، رمادي، نبيذي،

وأشرعتي دموع

وأنا على ظهر السفينة مثل عصفور يتيم،

لا يفكر بالرجوع

بيروت أرملة المروءة والحواجز والطوائف

والجريمة والجنون

بيروت تمكث كالدجاجة في الطريق

فأين فر العاشقون؟

بيروت تبحث عن حقيقتها،

وتبحث عن قبيلتها،

ولكن الجميع منافقون[1]

ونحن من جانبنا نردِّد معه سطره الأخير، «الجميع منافقون»

يتابع نزار أبياته مبينًا أهمية النفط في قلب الموازين، لو استغل بشكل صحيح.. ولكن النفط الآن لا يفيد إلا في الأشياء الخاصة، من نساء وقصور، ويخوت، وهو أداة لهو للأمراء، يقول:

النفط هو السائل المنوي

لا العربي، لا القومي، لا الشعبي

هذا الأرنب المهزوم في كل الحروب

كيف الدخول إلى القصيدة يا ترى؟

والنفط يشري ألف منتجع بـ «مربيا»

ويشري نصف باريس

ويشري نصف ما في نيس من شمس وأجساد

ويشري ألف يخت في بحار الله،

يشري ألف غانية لعوب

لكنه لا يشتري سيفًا لتحرير الجنوب

لاحظ اعتماد الشاعر على فنية التضاد، فالنفط يستطيع أن يشري كل شيء من منتجعات حتى أجساد الغانيات، لكنه لم يستطع أن يشتري سيفًا، وآلية التضاد تعكس حالة الشاعر الوجدانية وأحاسيسه الصادقة تجاه قضية لبنان.

أما قصيدته «لماذا يسقط متعب بن تعبان في امتحان حقوق الإنسان» - يلاحظ العنوان، وما يرمز له من استهجان للأمة العربية - فيوضح فيها ما وصل إليه حال الأمة العربية من التهتك والانحلال، ويقدم صورة حزينة للواقع الفلسطيني الذي وصل إلى طريق مسدود من قبل القبائل العربية، هذا الفلسطيني الذي يحمل هموم الوطن في صدره وهاجس الخوف من حوله يطارده، ولا مكان فيه أمان لهذا الحر الأبي..

---

(١) نزار قباني: مجلة الشراع، ١٦/ ٣/ ١٩٨٥م، ص ٥٢.

obeikandl.com

يقول:

مواطنون... دونما وطن...

مطاردون كالعصافير.. على خرائط الزمن...

مسافرون دون أوراق.. وموتى دونما كفن...

نحن بقايا العصر.. كل حاكم

يبيعنا، ويقبض الثمن..

نحن جواري القصر.. يرسلوننا

من حجر لحجرة...

من قبضة لقبضه

من هالك لمالك

من وثن إلى وثن

نركض كالكلاب كل ليلة

من «عدن» «لطنجه»

نبحث عن قبيلة تقبلنا

نبحث عن عائلة تعيلنا

نبحث عن ستارة تسترنا، وعن سكن..[1]

يتابع نزار قباني أبياته موضحًا الحالة التي يمر بها الإنسان العربي بشكل عام، والفلسطيني بشكل خاص، حالة الرثاء والبكاء، الويل لمن يرفع رأسه فالسقوط في انتظاره، يجب أن ينسى منزله الأول.. عليه أن يغير هويته.. انتماءه.. حتى اسمه..

مسافرون نحن في سفينة الأحزان (...)

مكومون داخل الأقفاص كالجرذان

---

(١) ألقاها الشاعر في مهرجان المربد السادس الذي عقد في بغداد ١٩٨٥م، نقلاً عن مأساة بيروت: ص ٥٧٧.

obeikandl.com

لا مرفأ يقبلنا...

لا امرأة تقبلنا..

لا حانة تقبلنا

كل الجوازات التي نحملها

أصدرها الشيطان

كل الكتابات التي نكتبها

لا تعجب السلطان

مسافرون خارج الزمان والمكان

مسافرون ضيعوا نقودهم، وضيعوا متاعهم.

ضيعوا أبناءهم، وضيعوا أسماءهم، وضيعوا انتماءهم

وضيعوا الإحساس بالأمان..

فلا بنو «يعرب» يعرفوننا، ولا بنو «قحطان»

ولا بنو «ربيعة».. ولا بنو «شيبان»

ولا بنو «لينين» يعرفوننا. ولا بنو «ريجان»

يا وطني.. كل العصافير لها منازل..

ما العصافير التي تحترف الحرية

فهي تموت خارج الأوطان

يلاحظ استلهام التراث العربي من خلال «بنو يعرب» «بنو قحطان» «بنو ربيعة» واستلهام الأحداث السياسية من خلال «لينين» «ريجان»...

كما يحاكي المقطع الوضع الراهن بثباته وعدم تغيره، آية ذلك غلبة الجانب الأسمى على الأفعال، ومعروف أن الأسماء تعطي دلالة الثبات وعدم الحركة، حتى الأفعال الواردة بالنص وردت في معظمها بصيغة الماضي، وهي أيضًا تحاكي الاسم في هذه الصفة. مع ملاحظة ثبات الأفعال الواردة أيضًا من خلال تكرارها أكثر من مرة

obeikandl.com

وفي وصف الأحداث الجسام التي مرّت على لبنان، وأحدثت جرحًا عميقًا لبيروت كان لنزار قباني الدور الواضح حين رسم المأساة في قصيدته «بلقيس»، أي زوجته التي قتلت في بيروت، فالمأساة عامة، وهي عنده عامة وخاصة.. ونزار قباني بكى بكاء مرًا حين رثى زوجته، بل قدّم لنا قصيدة حزينة، وضّح فيها سبب موتها، وَمَنْ قَتَلَهَا.. واضعًا اللّوم على أولئك القاعدين والعملاء. هذا بالإضافة إلى نقدٍ لاذعٍ للأمة العربية من خلال مقاطع قصيدته، والتي نلمس فيها حزن الشاعر على زوجتهِ.. وهي أغلى شيء عنده كما نرى من خلال مقاطع كتبها نزار بدمه. فيقول نزار قباني واصفًا بلقيس في قصيدته بالأم والزوجة والكل، وما بعدها خراب وسراب!!

شكرًا لكمْ

شكرًا لكمْ

فحبيبتي قُتِلَتْ.. وصار بوسعكم أن تشربوا كأسًا على قبر الشهيده..

وقصيدتي اغتيلت

وهل من أمة في الأرض – إلا نحن – نغتال القصيده؟

بلقيس كانت أجمل الملكات في تاريخ بابل

بلقيس كانت أطول النخلات في أرض العراقْ

كانت إذا تمشي.. ترافقها طواويسٌ وتتبعها أيائلْ

هل يا ترى من بعد شعرك سوف ترتفع السنابلْ؟

يا نينوي الخضراءَ..

يا غجريتي الشقراءَ..

يا أمواج دجلة تلبس في الربيع بساقها أحلى الخلاخلْ..

قتلوك يا بلقيس..

أيةُ أمّةٍ عربيةٍ تلك التي تغتال أصوات البلابلْ؟

أين السمؤال، والمهلهل.. والغطاريف الأوائلْ؟

فقبائل أكلت قبائلْ..

وعناكب سحقت عناكب...

قسمًا بعينيك اللتين إليهما تأوي ملايين الكواكبْ

سأقول، يا قمري، عن المُرب العجائبْ

فهل البطولة كذبةٌ عربيةٌ

أم مثلنا التاريخ كاذبْ؟؟

بلقيس.. لا تتغيبي عنّي..

فإن الشمس بعدك، لا تضيء على السواحلْ

سأقول في التحقيق، إن اللّص أصبح يرتدي ثوب المقاتلْ..

وأقول إن حكاية الإشعاع أسخف نكتة قيلتْ..

فنحن قبيلة بين القبائلْ..

هذا هو التاريخ يا بلقيسُ..

كيف يفرق الإنسان ما بين الحدائق.. والمزابلْ؟[1]

ويتابع نزار قباني أبياته بأسلوب حزين يصدر عن نفس حزينة ملتاعة، وقلب يتقطع على فراق حبيبته، بل ويصب جام غضبه على الأمة العربية، ويتّهمها بأنها التي قتلت بلقيس، ويقدم لنا صورًا لبلقيس الجميلة، الشهيدة، القصيدة، النقية، بل ونجد أنه لا يبالغ في وصف بلقيس لأنها زوجته التي رحلت دون رجعة فأصبح وحيدًا مكلومًا:

بلقيس.. أيتها الشهيدة، والقصيدة والمطهرة النقيه

سبأ تفتش عن مليكتها.. فردي للجماهير التحيه..

يا أعظم الملكات.. يامرأة تجسّد كل أمجاد العصور السومريه

بلقيس يا عصفورتي الأحلى..

ويا أيقونتي الأغلى

---

(١) مجلة المستقبل، السنة الخامسة، العدد ٢٥٩، ٦ شباط ١٩٨٢م، (كتبت القصيدة بتاريخ ١٥/ ١٢/ ١٩٨١م)، بيروت، ص ٦، ٧، وهي بعنوان «بلقيس» في أعماله الشعرية الكاملة: ١/ ٣٦٩.

obeikandl.com

ويا دمعًا تناثر فوق خدّ المجدليه..

أترى ظلمتك إذ نقلتك ذات يوم من ضفاف الأعظميه

بيروت تقتل كل يوم واحدًا منا.. وتبحث كل يوم عن ضحيه..

والموت في فنجان قهوتنا..

وفي مفتاح شقتنا.. وفي أزهار شرفتنا

وفي ورق الجرائد.. والحروف الأبجديه

ها نحن، يا بلقيس، ندخل مرة أخرى لعصر الجاهليه..

ها نحن ندخل في التوحش، والتخلف، والبشاعة، والوضاعه.

ندخل مرة أخرى عصور البربريه

حيث الكتابة رحلة بين الشظيّة.. والشظيّه..

حيث اغتيال فراشة في حقلها

صار القضيّة

لاحظ دلالة الموت وأماكن وجوده، فهو أقرب إلينا من أنفسنا، فهو في مفتاح الشقة، ووردة الشرفة، وورق الصحيفة، وفي قهوة الصباح، وفي حروف كلماتنا، ترى هل يمكننا الهروب منه!

ثم ينتقل الشاعر في قصيدته ليتهم بيروت وأهلها من العملاء بأنهم هم الذين قتلوا بلقيس.

بلقيس إن الحزن يثقبني

وبيروت التي قتلتك.. لا تدري جريمتها

وبيروت التي عَشِقَتْكِ تجهلُ أنها قتلت عشيقتها

الحزن يعتصر فؤاده لفراق زوجته، فهو يصورها بكل الأشياء بالقمر، بالجزيرة بالكآبة، بالمنارة، ونلمح حقد الشاعر على العرب، وكأنهم قتلوا غزالته، وفرَّطوا فيها كما يقول:

حتى العيون الخضر يأكلها العرب

حتى الضفائر.. والخواتم.. والأساور.. والمرايا.. واللعب

من يوم أن نحروكِ، بلقيس يا أحلى وطن..

لا يعرف الإنسان كيف يعيش في هذا الوطن

لا يعرف الإنسان كيف يموت في هذا الوطن

لاحظ السطرين الأخيرين في المقطع تجد أن العيش يتساوى مع الموت، فالاثنان لا يعرفهما الإنسان في هذا الوطن، ثم يختم الشاعر قصيدته بقوله:

نامي بحفظ الله، أيتها الجميله..

فالشعر بعدك مستحيل.. والأنوثة مستحيله

ستظل أجيال من الأطفال تسأل عن ضفائرك الطويله

وتظلّ أجيال من العشّاق تقرأ عنك.. أيتها المعلمة الأصيله..

وسيعرف الأعراب يومًا..

أنهم قتلوا رسوله . .

وهناك قصيدة أخرى للشاعر نزار قباني بعنوان «الثقب»، ويوضح فيها حالة الأمة العربية، وما أصابها من تفكك وتأخر، ويبين فيها الحال الذي وصل إليه سكان المخيمات في لبنان، حيث أكلوا الحشرات والفئران، ونلمح في هذه القصيدة خطوطًا عريضة تذكرنا بماضينا المجيد، وكيف كنا أمة لا نهاب الموت ولا نقبل الذل، واليوم يلقي اللوم علينا لتقاعسنا وفرقتنا، حتى أصبحنا طعامًا سهلاً لكل الطامعين، يقول فيها:

لقد مرّ عشرون عامًا علينا

لقد مرّ عشرون عامْ

يحاصرنا الروم من كل صوبٍ

وليس هناك ثأرٌ

وليس هناك من يثأرون

ويسقط نخل لعر ق حريق

ولا صوت يثقب أعماق هذا الظلام

ولا شيء يطلع من هذه الأرض

إلا الطباقُ.

وإلا ألا عيب علم الكلام

ويأكل سكان بيروت فئرانهم

وليس هنالك حزن

وليس هنالك من يحزنون

فأهل الملايين فوق ملايينهم نائمونْ

وأهل الخيول الأصيلة، فوق جواريهم يركبونْ

وأهل السياسة لا يقرأون ولا يكتبون!!

وللشاعر عدد كبير من القصائد تحكي المأساة نذكر منها «منشورات فدائية على جدران إسرائيل»، «قانا»، «بيروت الحب و لمطر»، و ـرهما

وقد تعمَّقت مأساة لبنان، وحصار بيروت، ورحيل مقاومة الفلسطينية عن بيروت بحرًا وجوًا وبرًا، والبطولات في الجنوب والشهداء أمثال سناء محيدلي، في نفسية الشاعر راتب نصر الله، ففي قصيدته «الأرض ـ ـ ركانا» يوضِّح البطولة عند الفلسطينيين واللبنانيين في قتالهما ضد اليهود وعملائهم، فيقول

يا وطن الصمت على الأشرار

والنوم في جفن العار

لا تملك إلا شجبا

وأراك تهوى

شلوا شلوا

هل منكم من يسمع صوت امرأة

obeikandl.com

تحمل طفلاً بين النيران

فيواجهها طلق الموت؟!

هل منكم من يسمع أصوات الأبطال

خلف متاريس الحرب

يتحدى واحدهم مئة

باسم الشعب

هل يقربكم هذا الشعب؟!

يا وطنا

لا تملك أن تتكلم

أو تتحرك

عبر حدودك

من هذا الماء إلى الماء

هل تملك أن تحزم أمرك

في تلبية نداء؟![1]

والشاعر يهنّئ سناء محيدلي، ويزفها بقصيدة عنوانها «الجنوب يزف عروسه سناء» مقدمًا صورة رائعة للفتاة المؤمنة بعقيدتها، وبحب الوطن والتضحية من أجله. هذه سناء، وأمثالها في الجنوب كثير، وحبذا لو أن بنات اليوم، يقتدين بسناء الحرية ساعتها ينبلج صباح التحرير، وتصبح العروبة أكثر إشراقًا، يقول:

أختاه يا برقًا إذا غصّ الشتاء

يا صولة الرعد بآفاق الرجاء

يا صيحة البركان يا حمم الفناء

يا راية النصر

---

(١) راتب حمود نصر الله - الأرز يحرق ثوبه، دمشق، ط١، ١٩٨٦م.

obeikandl.com

بأنحاء الفضاء

يا فارسا

نار المعارك شاله

وسواره حرف النداء

وقلادة التحرير زينة جيده

والكحل آيات الرجاء

يا فارسًا يهدي لمجد بلاده

وهج السناء

فبين قطر من دماك وقطرة

سيموج مرج سنابل

ينشق درب جحافل

ما بين قطر من دماك وقطرة

تتوحد الأجيال في دنيا القبائل

ما بين قطر من دماك وقطرة

جسر البطولات الأوائل

قد رفضت أن تكوني من شياه

الغزو

بل كنت القنابل[1].

وحصار بيروت، وصمود المدينة في وجه المحتل والبطولات الملحمية للمدافعين، أنطق الشعراء ليتغنوا بالمدينة المحاصرة، أسطورة المدائن، عروس العواصم العربية التائهة، ومن هؤلاء الشاعر سليمان العيسى الذي راعه ما يحدث في لبنان في ظل عجز عربي، وخنوع دولي، فيقول لائمًا الأمة، داعيًا عليها بالهلاك؛ لأنها فرطت في عروس المدائن،

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٤٢.

obeikandl.com

وقد تفرط في غيرها عمّا قريب، يقول العيسى:

واستيقظت شهوة للقتل.. ما انطفأتْ

نيرانها بعد في أنقاض بيروتِ

لم تُنتشل جثث الأطفالِ.. ما برحتْ

آلامهم بين تدمير وتشتيت

يا أمةً.. تلعق السكين صامتة

موتى..

فلم يبق ما نبكي له..

موتى..[1]

وحينما وقعت مذبحة «صبرا»، و«شاتيلا» انطلق العيسي معبرًا عنها بقوله في قصيدة تحت عنوان «لا تقل لي»:

منذ دهر..

قطعوا رجلي في «اللد» ولحمى

لم يزل مختلطًا في الحفر الحمر «بصبرا»

في سعير الحقد لحمي..

ثم يصرُّ العيسى على المقاومة وعدم الاستسلام، فيقول:

يا عصر «أبناء الأفاعي».. لن أهادن

إنني أمضغ أكفاني صباحًا ومساءً..

لن أهادن..

إنني أُجتثُّ من جلدة رأسي..

من وريدي..

---

(١) سليمان العيسى: ثمانون عامًا من الحلم والأمل، دمشق - صنعاء، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٢٤٠.

obeikandl.com

من عيوني..

لن أصادن..

إنها لازمة الدم، نشيد الدم، مطلولاً وساخن[1].

وللميسى قصيدة يصور فيها «سناء محيدلي» الفارس العربي، العروس، الوطن، الأرض، الطهر، العزة، ففي قصيدة له بعنوان «كيف تحولت الوردة إلى صاعقة»، يقول فيها مصوِّرًا تلك الفتاة:

كلها في بسمة زهراء.. إصرار الجنوب

وتدوي الصاعقة

وردة الفجر.. استحالت صاعقه

فوق رأس الغزو. والحقد الجبان

يا أعاصير الندى والأقحوان

ليس للمحتل في كل أرضي مكان

فجِّريهم، لقِّنيهم أول الدرس، ورفّت كالصباح

فوق تاريخ الجراح..

وانتهت دفقة عطر.. في كتاب الشهداء

يشمخ الشعر إذا رفَّ اسمها .. يحلو جنون الكبرياء

اسمها كان «سناء»

أول القيث «سناء»..[2]

أما سعيد قندقجي في قصيدته «وقيل الجنوب» يمجد أهل الجنوب، ويفتخر بمشعل الانتصارات، الذي يحمله الجنوبيون ليضيئوا به جنبات الأمة الحالكة:

الا أيهذا الجنوب الأبي

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

(٢) مجموعة من الكتاب: المقاومة في الأدب، منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق ١٩٨٥م، ص٢١٨.

obeikandi.com

ويا أيهذا الدم العربي

ويا أيهذا الشموخ النبي

لك المجد يا ناسجا من دماك النهار

لك الخلد يا ضافرًا بخطاك الفخار

لك الوعد رغم احتدام التتار

وحشد المغول بألف انتصار

لأن الشعوب كمثل السحاب

يهلُّ، فيبدأ موج البحار[1]

أما الشاعر حسين حموي فيرثي بيروت في قصيدة له بعنوان «خاتمة المراثي.. خاتمة المراثي» يقول الشاعر:

وتدثرت بيروت بالأكفان يقتلها الدمار

وتدثر العرب الكماة الصيد بالصمت المتوج بالخديعة والشنار

أين استغاثات النساء، وألف معتصماه

تحترق الفضاء وتبلع الجوزاء

تتشد من يجيب على النداء، ولا جواب

من أين ينطلق الجواب، وكل من شهد الوقيعة

يستنيخ على الحراب؟؟

ظهر المنادي بعد ما سكت الرصاص

وغاص في الرمل الدم المسفوح والتاريخ

والقتل المجلل بالخيانة والصغار[2]

وللشاعر عدنان البرازي عدد من القصائد عن جراح لبنان، من تلك القصائد،

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

obeikandl.com

قصيدة «قسم الثأر.. يا قانا»، الشاعر يتخذ من مذبحة قانا متكأ يتكئ عليه وينطلق منه ليقسم بأن الثأر قادم لا محالة، ولن نهدأ حتى نثأر لقتلانا، وليهنأ الشهداء في قبورهم، فتراه يقول:

لما أن عـــرفـــوا مـــنـانا ... وتبـــاكـــوا.. من عـــزم قـــوانا
ورأوا.. مـــن بـــأس نمـــلـــكـــه ... مـــا أرّق منهم.. أجـــفـــانا
وارتفـــعت منا.. ضـــربات ... كـــســـرت للظلمـــة أوتانا
وهوت مطرقـــة يحـــملهـــا ... فـــرســـان تقـــفـــو فـــرســـانا
أدمت أيديهم قـــوتهـــا ... وروت بـالثـــــار حنـايانا
وقـــضت في التـــو على كـــذب ... روّجـــه الســـفلة أحـــيـــانا
لما أن ذاقـــوا حـــريتنا ... ضـــربوا أطفـــالك يا «قـــانا»

ثم نراه يقسم بالله أنه لم ينس القتلى، ولن يسكت عمن آذاهم فيقول:

يا «قـــانا» يا حـــزن بلادي ... يا جـــرحًـــا في العين أتانا
يا دمـــعًـــا في الخـــد تجلّى ... ولهـــيـــبًـــا.. تصـــلاه حـــشـــانا
أقـــســـمت بربك لن ننسى ... لـن نسـكت عـــــمن آذانا[1]

وفي قصيدة أخرى تحت عنوان «قسمًا يا بيروت» يتابع الشاعر قسمه، فيقسم «بجمال الحسناء»، و«بالأرز وأثمار التوت»، «بالبلبل والحسُّون»، و«بدماء الشهداء»، و«بالجوعى والعطشى»، و«بالثكالى»..... إلخ، ونقتطف منها قوله:

قـــســـمًـــا بصـــمـــودك يا بيـــروت ... في وجـــه الطاغي والجـــبـــروت
قـــســـمًـــا بجـــمـــالك يا حـــسناء ... وبالأرز.. وأثمـــــار التـــــوت
وقـــلـــوب فـــي الأرض تـــذوب ... لن نبـــقى بأســـر الطاغـــوت[2]

---

(١) عدنان البرازي: يا شمسنا عودي - القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٨١.
(١) المصدر نفسه، ص ١٢٣.

وللشاعر قصائد أخرى عن لبنان، نذكر منها «اضرب يا حزب الله»، و«لماذا نحن»، و«المقاوم»، وكذلك «لبنان حب.. ثقافة.. نضال»، و«جنوب لبنان»...[1]

بيروت، خلدة، بئر حسن، قلعة الشقيف، بطولات الفدائيين في الدفاع عنها ملحمة الشرف والفداء، تلاحم الأجساد المقاتلة، اللبناني والفلسطيني كل ذلك نجده عند الشاعر علي عقلة عرسان في قصيدته «بيروت يا مقاتلة» يقول فيها موضحًا قتال بيروت لمدة سبعين يومًا دون نجدة من أخ أو صديق، قاتلت وحدها كشجر الأرز والزيتون الصامدين في مواجهة الرياح العاتية.

بيروت يا بيروت

يا جسدًا ألقيت عليه النار ما لم تشهد الأبصار

سبعين يومًا من قتال في لظى الحصار

بيروت يا معاقل الثوار يا محاصره

ما كنت أول الطريق، لا، ولن تكوني أنت آخره،

القدس قبلك اسألي

ولتسألي حيفا ويافا والخليل

ولتسألي القنيطره

وبورسعيد في الحريق

ومجدها العريق

ما كنت أول الطريق، لا، ولن تكوني آخره[2]،

ونجد في المقطع السابق ربطًا بين فلسطين وبيروت، وبين معارك سابقة كبورسعيد، وأخرى لاحقة، مع ملاحظة تكرار الجملة «ما كنت أول الطريق، لا، ولن تكوني آخره»، التي تدل على أن طريق المواجهات طويل.

---

(١) بعض هذه القصائد بالمصدر السابق، وبعضها بديوان «عشق العيون العربية»، وهو صادر بالقاهرة - أيضًا - ٢٠٠٩م.

(٢) المقاومة في الأدب: مصدر سابق، ص ٢٦٢.

obeikandl.com

ضدينا يمتد في التاريخ من «ذي قار» حتى «الليلكي»

إلى مداخن الرفاق في الجبل

في قلعة «الشقيف»، في «خلدة»، في «بئر حسن»

يمتد قصرًا أو كفن

يمتد نصرًا أو صمودًا في المحن

لكنه يا غرة الصمود يا بيروت، يبقى دربنا

في العز، في الذلة، يبقى دربنا

فتصنع الإرادة المقاتله

«حطين» أخرى قابله

وينشد الجميع:

«بيروت يا مقاتله

لك الحياة والخلود والبقاء

لك الوفاء

، وللعدو العار والفناء»

مجزرة «تل الزعتر» كانت بداية المجازر في لبنان لشعب أعزل من السلاح، شُرِد من فلسطين عام ١٩٤٨م، وسكن مخيمات لبنان، وصمود مخيم «تل الزعتر» حطم كل تكهنات الكتائب، دافع المخيم حتى آخر طلقة وآخر بيت صفيح، وأصبح المخيم ركامًا أو رمادًا تذروه الرياح أينما شاءت، قتل أصحاب المخيم، ولم يستسلموا، فكان الشرف وكانت الشجاعة، والشاعر ممدوح عدوان يوضح لنا ما جرى في المخيم، من خلال قصيدته «هكذا تكلم التل» فيقول:

obeikandl.com

متراجعًا.. غادرت أوردتي

تهاوت في دمي الأحلام رملاً خائفا

وعريت من أمني ومن أمي

يطاردني لظى الفقر المدجج[1]

وينتقل الشاعر إلى القول بأن الدماء الطاهرة الزكية التي سفكت في تل الزعتر على أيدي الكتائب لا يكفي لغسلها مياه نهر النيل، ونهري دجلة والفرات، ونهر العاصي. ويتساءل الشاعر هل يكفي البكاء لنكفر عن خطايانا؟ هل تكفي اللافتات والخطب الرنانة؟ وهل.. وهل؟

أيكفي النيل والعاصي ودجلة والفرات غدا

لغسل دمائنا عن هذه الأيدي

أيكفي الدمع للتكفير؟

تكفي لافتات الحفل للتكفين؟

والآبار هل تكفي

إذا ما جف منها النفط

أن تخفي شظايانا وأشلاء المروبه

إنني الهمُّ المتلَّل

جاء نحوي التائهون عن البلاد

الدامعون من البلاد

أتى الصماليك الحفاة

وجاءني الخلعاء

---

(١) ممدوح عدوان: أمي تطارد قاتلها - دار العودة - بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص ٥٦.

obeikandl.com

صرت قبيلة موبوءة

نادمتهم

وشُربت ذكراهم عن الأم التي وئدت

الشاعر يصوِّر الفلسطينيين بالصعاليك في زمن الجاهلية، أو الخلعاء الذين لفظتهم قبائلهم فأصبحوا مطاردين بلا مأوى يفترشون التراب، ويلتحفون السماء، ثم يصور الشاعر الموت والميلاد، والوجع والوحدة، واليأس من أولئك الناس الذين لا يهمهم إلا الشراب والملذات، والهروب من الواقع، ويبقي التل وحيدًا يتمتع بكرامة وعزة عربية، ومقاومة وبطولة، هذا التل هو ملجأ كل عربي حر يؤمن بعروبته، ويعتز بها، حتى وإن خانه الآخرون، فيقول:

نهضت من التراب

وكان يحبل بي

شرايييني تفتح كالزهور

فخندقوا فيها

لقد خفنا من الوديان والآبار

فانحزنا إلى تل يرى الدنيا بأعيننا

وخفنا من غيوم الصيف

فانحزنا إلى سيل

يهلل فاضحًا ما يحتويه القلب من جثث

وخفنا من شفاة قبلتنا

ثم أبقت في حنايا أمنا خنجر

لن يحتوينا الصبر والمنفى

ولن نرتاح عند الموت للريحان

نحن الموت منحاز إلى الزعتر

obeikandl.com

الأرض لها رائحة طيبة رغم القتلى ورائحتها التي تلعن كل جبان هارب، هذه الصور المسترسلة على سجية صاحبها، وما وجده وصادفه من أشياء ونظائر لتل الزعتر.

إنها صورة الإنسان الذي يقفز فوق الزمن والأشياء إلى حياة أخرى، ومن موت إلى موت، وبين الاثنين فسحة من الأمل، وبريق الشهادة، حتى النصر القادم، فيقول:

هل رأيت روائح القتلى تصيح

كما تهاجس في التلال الزعتر البري

تلك فلول رائحة مقاتلة

تلاقت مرة أخرى على عهد مميت

فانتحيت بها.. تمترس خوفنا خلف الغد المأمول

من غدر السلالات الرجيمة

جاؤوا إلي، وقاتلوا عني

لأني كنت تلا خافقًا كالقلب

قلبًا واسعًا كالتل

كنت أواخر الأحلام

كنت مبشرًا بالموت

ويتابع الشاعر قصيدته «هكذا تكلم التل» واصفًا المعاناة الحقيقية التي يعانيها الإنسان العربي في التل وما بعد التل، ثم يضيف ممدوح عدوان بأن الفلسطيني يقابل الموت، ويصمد في المعركة علمًا بانه يعرف أن الموت يأتيه من كل جانب، ولكن من أحب الوطن والعروبة لا يهمه الموت، بقدر ما تهمه الحياة الكريمة، وهو ما عبَّر عنه عنترة قديمًا بقوله:

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني العز بكأس الحنظل

* * *

العـــراق

ومن العراق انطلقت أصوات الشعراء معبرة عن مأساة لبنان، ونجد أن الألم والحزن قد أدميا قلب الشاعر العراقي، من ذلك مثلاً الشاعر أحمد مطر، هذا الذي جاء من تحت الأنقاض من الخوف والرعب وحاول أن يخرج من داخل الوطن، ليعبر عن أحزان الشعب الفلسطيني واللبناني داخل المخيم، من خلال قصائده الملفومة بشحنات لغوية وتصويرية بارعة، يقول أحمد مطر في قصيدة له بعنوان «قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن» موضحًا التمزق العربي والمعاناة والمآسي اليومية التي يعيشها الشعب في لبنان، والشاعر في قصيدته يرمز بالصحراء للأمة العربية، عديمة الفائدة، فلا تعطي زرعًا ولا تأوي لاجئًا، ولا تغيث ملهوفًا - كذا حال أمتنا الكريمة - وهي أيضًا سجينة رغم اتساعها اللامحدود، يلاحظ أيضًا تحذير الشاعر للفلسطيني من نفسه/ أي من أخيه العربي، فنراه يقول:

لا تهاجر

كل من حولك غادر

لا تدع نفسك تدري بنواياك الدفينه

وعلى نفسك من نفسك حاذر

هذه الصحراء ما عادت أمينه

هذه الصحراء في صحرائها الكبرى سجينه

حولها ألف سفينه

وعلى أنفاسها مليون طائر

ترصد الجهر وما يخفى بأعماق الضمائر

وعلى باب المدينة

حسبما تقضي الأوامر

تضرب الدف وتشدو:

أنت مجنون وساحر

لا تهاجر[1]

يتابع الشاعر قصيدته مطالبًا بعدم الاستسلام، وعدم ا لرحيل، وضرورة استخدام القوة للعودة إلى أرض الوطن.. يقول:

أنت مطلوب على كل المحاور

لا تهاجر

اركب الناقة، واشحن ألف طن

قف كما أنت

ورتل سورة النسف

على رأس الوثن

إنهم قد جنحوا للسلم

فاجنح للذخائر

ليعود الوطن المنفي منصورا

إلى أرض الوطن

الشاعر يرمز للأمة العربية المستسلمة من خلال قوله: «إنهم قد جنحوا للسلم»، فالضمير «إنهم» يعود للحكام العرب، لا لإسرائيل.

وقصيدة أخرى له بعنوان «فبأي آلاء الشعوب تكذبان»، وهو مضمَّن من آية كريمة في سورة الرحمن، يقدم لنا الشاعر لافتة مهمة، تدلل على عمق ما يريد، وما يرمز إليه، وهذه مقاطع فيها صورة رائعة لنأرتين وقعتا في الفخ، ولكن يكون السؤال من المخلص

(١) أحمد مطر، لافتات، مطابع دار القبس – الكويت، ط١، ١٩٨٤م، ص ١٥٩.

ومن المنقذ؟ يقول:

من مات مات

ومن نجا

سيموت في البلد الجديد

من الهوان

فبأي آلاء الولاة تكذبان

في الفخ تلهث فأرتان

تتطلعان إلى الخلاص

على يد القطط السمان

فبأي آلاء الولاة تكذبان

خلق المواطن مجرمًا حتى يُدان

والحق ليس له لسان

والعزم ليس له يدان

والسيف يمسكه جبان

ويدمعنا ودمائنا سقط الكيان

فبأي آلاء الولاة تكذبان

هي كل شبر من دم

سيذاب كرسي

ويسقط بهلوان

فبأي آلاء الشعوب تكذبان[1]

الشاعر يساوي بين الولاة والرب عند الشعوب، فالشعب مقهور مأمور وعليه الطاعة

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٤.

obeikandl.com

لربه/ لمولاه، آية ذلك قوله: «فبأي آلاء الولاة تكذبان»، هي نفسها مع تغير كلمة واحدة من قوله تعالى: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

وينتقد أحمد مطر الوضع العربي الهزيل، والذي يكيل بأكثر من مكيال، فيقول في قصيدته «المطففون» لاحظ الاقتباس من سورة «المطففين» في القرآن الكريم، ولكن شتان في التطفيف بين هذا، وذاك، فيقول:

يا من ببيروت وضعتم دمنة
في آلة التحويل والإحاله
فانقلبتم بفضلكم
في الحال.. برتقاله!
.....
أعدل مكيال لكم
يميل حسب المبلغ الموضوع
في الحصاله!
لكنكم
إن مال كيل غيركم
ملأتم الدنيا دموعًا ودمًا
من قسوة الإمالة[1]

وله قصيدة «استغاثة» يوضح فيها القتلة بطريقة النحت اللفوي، فالقتلة ليسوا عربًا، وكذلك ليسوا إسرائيليين، إنما هم هجين من النوعين، تدبير إسرائيلي، وفعل عربي، فيقول:

الناس ثلاثة أموات
في أوطاني

---

(١) أحمد مطر، لافتات، الأعمال الكاملة، الدار المصرية للنشر – القاهرة ٢٠٠٨م، ص ١٥٤.

obeikandl.com

والميت معناه قتيل

قسم يقتله «أصحاب الفيل»

والثاني تقتله «إسرائيل»

والثالث تقتله «عربائيل»[1]

وفي قصيدة له بعنوان «كلمات فوق الخرائب» تتبين لنا الصورة الحزينة التي وصلت إليها بيروت، صورة الخراب والدمار، القتل والتشرد، الصمت الرهيب، والسكوت على المذابح التي أقدم عليها الصهاينة في بيروت، ومخيماتها... يقول مطر:

قفوا حول بيروت

صلوا على روحها واندبوها

وشدوا اللحى وانتفوها

لكي لا تثيروا الشكوك

وسلّوا سيوف السباب لمن قيدوها

ومن ضاجعوها

ومن أحرقوها

لكي لا تثيروا الشكوك

ورصوا الصكوك

على النار كي تطفئوها

ولكن خيط الدخان

سيصرخ فيكم: دعوها

ويكتب فوق الخرائب:

«... إذا دخلوا قرية أفسدوها»[2]

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٩١.

obeikandl.com

ويؤكد أحمد مطر بأننا نشتكي إلى من يقتلنا، فإذا كان القاضي هو المتهم نفسه، فكيف يتحقق العدل، وأصبح الكل لا يصغى إلى الشكوى التي نقدمها، هذا ما نجده في لافتة بعنوان «منفيون» يقول:

لمن نشكو مآسينا

ومن يصغى لشكوانا

ويجدينا؟

أنشكو موتنا ذلاً لوالينا؟

وهل موت سيُحيينا

قيطع نحن.. والجزار راعينا

ومنفيون.. نمشى في أراضينا

ونحمل نعشنا قسرا.. بأيدينا

ونعرب عن تعازينا لنا.. فينا

فوالينا.. أدام الله والينا،

رآنا أمة وسطا فما أبقى لنا دنيا

.. ولا أبق لنا دينا[1]

ولأحمد مطر قصيدة «القرصان» أوضح فيها حال الأمة العربية وكيف استقبلنا مذبحة صبرا تحت تأثير الكلام المعسول المخادع، يقول فيها:

بنينا من ضحايا أمسنا جسرا

وقدمنا ضحايا يومنا نذرا

لنلقي في غد نصرا

ويممنا إلى المسرى

وكدنا نبلغ المسرى

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥٢٤.

obeikandl.com

ولكن قام عبد الذات

يدعو قائلاً «صبرا»

.....

فأتجب صبرنا «صبرا»

وعبد الذات

لم يُرجع لنا من أرضنا شبرا

ولم يضمن لقتلانا بها قبرا[1]

الصورة واضحة الدلالة على من يتشدق بكلام السلام، فما هو إلا مخدر للشعوب العربية، أو وهم نجري وراءه. وله قصيدة أخرى بعنوان «لبنان الجريح» يقول فيها:

صفت النية يا لبنان

صفت النيه

لم نهملك ولكن كنا

مختلفين على تحديد الميزانيه

.....

جامعة الدول العربيه

تهديك سلامًا وتحيه

تهديك كتيبة ألحان

ومبادرة أمريكيه!!![2]

وللشاعر قصائد أخرى للبنان يصف فيها الخراب والدمار اللذين حلا بها، يصف فيها الأوضاع العربية المتردية، يصف فيها الخلافات العربية/ العربية. نذكر من تلك القصائد - مثلاً - قصيدة «الجهات الأربع اليوم: جنوب»، وقصيدة «كلمات فوق

---

(١) أحمد مطر، لافتات - الأعمال الكاملة: ص ٢٥١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٩٦.

الخرائب» وغيرهما من قصائد.

أما الشاعر عبد الوهاب البياتي، فقد كتب للبنان، ومأساتها، وخاطب الكادحين الذين يصنعون التاريخ المشرق لهذه الأمة، هكذا عبَّر البياتي في قصيدة له بعنوان «بيروت.. حزني.. وحزن البنفسج» عن حزنه أصدق تعبير. يقول:

الملايين التي تكدح، لا تحلم في موت فراشة

وبأحزان البنفسج،

تحت ضوء القمر الأخضر في ليلة صيف،

أو غراميات مجنون لطيف،

الملايين التي تكدح

تتمزق،

الملايين التي تصنع للعالم زورق،

الملايين التي تصنع منديلاً لمفرم،

الملايين التي تبكي

تغني، تتألم،

في زوايا الأرض في مصنع صلب أو بمنجم

إنها تمضغ قرص الشمس من موت محتم،

إنها تضحك

وتفرم،

لا كما يفرم مجنون بطيف،

تحت ضوء القمر الأخضر في ليلة صيف،

الملايين التي تبكي،

تغني، تتألم،

obeikandl.com

تحت شمس الليل باللقمة تحلم[1]

الشاعر يكنى بالعرب بقوله «الملايين»، هذه الملايين/ الشعوب العربية، «تبكي»، «تتألم»، «تحلم بلقمة عيش»، وهذه إشارات للقهر العربي، واستبداد الحكام وبطشهم لشعوبهم المستكينة!!

أما الشاعر مظفَّر النواب، فيصوِّر مأساة تل الزعتر في قصيدته «تل الزعتر» فيصور جثث الأطفال والأبرياء، يصوِّر الصمت العربي المخجل، واصفًا الحكام العرب بأوصاف يندى لها جبين الأحرار والشرفاء، يصور أن همَّ الحكام العرب أن يعقدوا جلسة طارئة للقمة العربية، فما أكثر الجلسات، وما أقلّ القرارات الجريئة، فيقول:

صرَّح نفط بن الكعبة أن يعقد مؤتمرا

.....

ابتعدوا

ابتعدوا

ابتعدوا خطوات أخرى

خلوا الأصوات، وخلوا تل الزعتر يعتاد الظلمة

لم يحن الوقت

عاصمة الفقراء لقد سقطت

لن أبكي أبدًا من قاتل

لكن أبكي إطلاقًا

أبكي من يبحث في القمة عن دولته[2]

والقصيدة طويلة ومليئة بألفاظ تخدش الحياء، وصور تتنافى مع الذوق العام قاصدًا بها الحكام العرب أولياء أمورنا!!!

وفي قصيدة أخرى له بعنوان «كيف نبني السفينة في غياب المصابيح والقمر..

---

(١) جريدة الخليج - العدد (٢٨٨٢)، الجمعة ١٣ من رجب ١٤٠٧هـ - ١٣/ ٣/ ١٩٨٧م.

(٢) مظفر النواب، الأعمال الشعرية الكاملة، دار قنبر - لندن ١٩٩٦م، ص ١٦٦.

قصيدة عن بيروت» يقول عن القمة العربية:

أيها (.....)!

أما تستحي البندقية حين ترى امرأة

تتوسل تحت البصاق

أما تستحي القمة العربية من قاتل

يجهل اللغة العربية يحكي مطالبها

أما يستحي الشعب من صمته

إن طاولة الزهر ضاقت بنا فاستحوا[1]

ولمظفر قصيدة أخرى بعنوان «وما هم.. ولكنه العشق». يوضح فيها الذل المهين الذي أصاب الأمة بعد حصار بيروت، وستوطها في أيدي الصهاينة، ويحزن على رحيل المقاومة منها، والويل لمن أسهم في رحيلها، والويل أيضًا لمن رأى وسمع باجتياح لبنان، ولم يتحرك.

ومن داخل الحصار كتب الشاعر سعدي يوسف قصائد تحمل بعدًا قوميًا، وتصف الحرب، والحصار بمهارة فائقة، وكان لوجوده في بيروت أثناء الحصار الأثر الكبير في قوة شعره، إذ خرج شعره من رحم الدمار والقنابل والجثث، ولقد جمع شعره الذي شاهد الأحداث في ديوانه «مريم تأتي» يقول:

كلما جئت بيتًا تذكرت بيتا

كلما كنت حيًا تناسيت ميتا

غير أن الذي جئته

غير أن الذي كنته

لم يعد لي

لم يعد غير ظل

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٢٣.

وليكن!

إن ظلا يصير

خير ما يرتجى في ظلام المسير[1]

هدير الطائرات، وانفجار القنابل، وسواد الليل كل ذلك بعث في نفس الشاعر الأمل والصمود، في وجه الأعداء والأمل ببزوغ فجر جديد يفرج الكربة عن الأطفال والنساء والشيوخ، و«مريم» بالنسبة للشاعر هي الأمل الذي يقاتل من أجله المقاتلون، وهي الأم المتحسرة على أبنائها، والأخت المصممة على القتال، والنصر القادم، وشبّه الشاعر «مريم» بأنها قديفة الماء التي تبل ريق الأطفال، لكنه يتساءل: لماذا كل هذا الخراب والقتل؟ لماذا يقاتل الإنسان؟ لماذا يموت؟ هذه أسئلة تدور في قلب الشاعر، والإجابة عليها هي أن الخراب والنار والموت والقتال كل ذلك يكون معادلة واقعية سارية المفعول ولابد من وجود ضد لكل شيء، فالخراب والدمار يقابله البناء والتعمير، والقتال، يقابله الصمود، والليل الأسود يقابله الفجر بضيائه ونوره.. يقول:

أريد أن أراك هذا المساء

للثلاثين قنبلة في الدقيقة

للبيوت التي تتكفئ

للعيون التي تترصد أو تتطفئ

للقبور التي نثرت

للشجيرات مخنوقة بالرماد

للمخيم مستفردًا كالبلاد

نرسم الدائره

نرسم الأمة العاثره

ثم ندخلها في هواء الخنادق

ويتابع الشاعر قصيدته مخاطبًا مريم بقوله:

---

(١) مجلة أسرتي – العدد ٢٢ لسنة ٢١ السبت ٢٠/ ٧/ ١٩٨٥م – الكويت: ص ٦٢.

ما بين حائطك المثلم والعدو

خطى

وما بين الخطى، والموت غمضة مقلة

بسري

سلامًا أيها الحي المتوج بالقذائف

أيها الحي الذي اخترناه جلجلة

سلامًا للصبايا في المحاور[1]

هكذا طوع الشاعر مفردات اللغة في مجموعته «مريم تأتي»، وقدم صورًا رائعة ومفردات جميلة قوية بالإضافة إلى الموسيقى القوية حينًا والحزينة أحيانًا أثناء كلامه عن الموت والدمار، وصُوره التي قدمها خصبة مليئة بألوان الخيال الذي يدل على سعة أفق الشاعر، وعمق التجربة التي مر بها أثناء الحصار.

ويرسم سعدي لنا صورة الإنسان المذعور، بل يقدم لنا وصفًا حيًا مر به أثناء سقوط القنابل، وركض الناس إلى الملاجئ، والطائرات المغيرة.. أكياس الرمل.. الشباب المقاتل ومنزلتهم في نفوسنا.. الخبز المجفف اليابس.. كل ذلك نجده في سطوره الشعرية، التي يخاطب فيها الأم والأخت والحبيبة والملاذ.. يقول:

ها نحن مريم. نرسم الطرقات في

الليل الملبد

نرصد الطلقات تتبعنا

ونقفز مثل عصفورين مذعورين

بين قذيفة وقذيفة

ها نحن مريم. نهبط الدرجات

نحو الملجأ الليلي

---

(١) المصدر نفسه.

نحصي الطائرات مغيرة

ونقول: آمنا..

ونمشي خلسة للبحر

نجلس خلف أكياس التراب

وترقب الأمواج تهدر. والشباب

مقاتلين...

ثيابهم مخضرة كالصخر عند

شواطئ المتوسط

انتظري قليلاً. كي نقول لهم:

سلاما

كي نبارك بالدموع سلاحهم

كي نمسح الخصلات بالماء القليل

ونمضغ الخبز المجفف صامتين

ومريم.. المرآة والرؤيا

بشارة أن نموت ممجدين

وأن نعيش كما يعيش الرفقة البسطاء

مريم تسكن الميلاد

تسكن في الدم العربي

نتبعها. وتتبعنا

ولكنا. هنا. في قسوة اللحظات

ننسج من عباءتنا هويتنا

وندخل في القيامة

obeikandl.com

في الموقع الحجري رايتنا

مغروزة في وقفة الزمن

سنظل نغرزها ونغرزها

حتى نفجر نبعة الوطن

وليكن ما يكون (...)

وليكن...

إننا القادمون.

ولسعدي يوسف مقاطع قصيرة بعنوان «مساء»، يوضّح فيها الحالة المأساوية التي مر بها المحاصرون داخل بيروت، قلة الماء والطعام، لقد عطش أطفال «صبرا»، فسقتهم لبنان بصمودها ماء الحياة يقول:

تشرب القبَّرة

يشرب النجم

والبحر يشرب

والطير

والنبتة المنزلية تشرب

لكن أطفال «صبرا»

يشربون دخان القذائف[1]

هكذا بيَّن لنا سعدي يوسف بأن أطفال مخيمات صبرا وشاتيلا، عاشوا حياة الحرمان والقهر والبطش الهمجي، وأمطار غزيرة على رؤوسهم من القنابل العنقودية والفسفورية فأصبحوا حقل تجارب لأسلحة أمريكا التي تمد إسرائيل بها. هم محرومون حتى من الماء الذي هو أساس الحياة.. فكل الكائنات تشرب الماء هنيئًا إلا أطفالنا - أطفال لبنان الجريح!!

---

(١) المصدر نفسه.

obeikandl.com

يغني سعدي يوسف لمدينة صبرا، وصور، خاتان المدينتان اللتان، صمدتا أمام الحمم البركانية التي أسقطها طيران إسرائيل من السماء والقصف المدفعي الضيق من الأرض، ولكن صور وصيدا، مثل الصخر كلما ضربت ازدادت صلابة، أبدعت صيدا بمقاومتها المحتل، وذلك بأبطالها الأشبال الذين قدموا ما في وسعهم من تضحيات وبطولات، هدمت البيوت، وأحرقت المزارع، وتحولت الأرض والسماء إلى شعلة نار ملتهبة، وأبناء الأرض المخلصين يدافعون عن مدنهم وقراهم ببسالة نادرة، يقول سعدي:

إني أفتح الشرفة

تتكشفين، مدينة تجد القرنفل فجأة في لعبة الخصلات

بحر غير منتسب لذاكرة ومعنى

والعمائر تحتمي في رعدة الطيران بالأزهار والشرفات

صيدا – وصور

.....

نعرف أننا الشهداء والغرقى

ولكنا لأجل الثوب والأشجار، نرفض أننا الشهداء والغرقى

ونرفض أن تكون حمامة في ساحة الإعدام

أن تتحلل الأقدام ماء...

وهكذا فإن الشاعر سعدي يوسف تفاعل مع الموقف، فصدر شعره قويًا من حيث الأسلوب، والمعاني والألفاظ والصور، والأخيلة والموسيقى الحزينة تارة، والساخية تارة أخرى، فهو يكتب من قلب الحصار.. يتفاعل مع الأحداث يرسم الصورة بالسكين الذي غرس في صدورنا، يبكي للمصاب الجلل، يبتسم لأولئك المقاتلين الذين يدافعون عن «مريم» الرمز للمرأة العربية، ولعله يرجع بها لمريم العذراء، وهي في مواجهة قومها مدافعة عن حق وتدرأ الباطل وتمحقه.. ورد شعر سعدي صادق العاطفة له بعد وطني، قوي العبارة، ولذا فهو شاعر قومي عربي ثوري صادق الكلمات[1].

* * *

(١) إبراهيم الوحش، مصدر سابق: ص ٥٥٢.

بطاقة لبنان

لم يقف الشعراء العمانيون مكتوفي الأيدي، فقد انطلقت حناجرهم وأصواتهم معبرين عن تلك المآسي اللبنانية، وما تلاها من فقر وتشريد وجوع وحرمان، وإذا كان العماني - بعيدًا من الناحية الجغرافية، فإنه قريب بوجدانه وأحاسيسه من أخيه اللبناني، يشعر بضياعه، يتألم لحرمانه، يصرخ لاغتياله، ففي قصيدة «لبنان» للشاعر أبي سرور، حميد بن عبد الله بن حميد، يلوم الشاعر الأمة العربية الواقفة الصامتة، الشاكية لمجلس الأمن والأمم المتحدة، ولكن لا مجيب، نراه يقول:

إلى متى نحن للطاغوت نحتكم ونطلب العدل من خصم هو الحكم
إلى متى نحن لا نلوي إلى ثقةٍ بالله تعصمنا ممن هم ظلموا[1]

ومطلع الشاعر في قصيدته تنبئ بتوجه إسلامي، وذلك من خلال كلماته ذات الهوامش الدينية مثل «للطاغوت» «تعصمنا»... وبعدما استهل الشاعر قصيدته باستفهام استنكاري بقصد التوبيخ، نراه يزيد في التحديد والاستفهام، فيقول:

نأوي إلى الشرق هل نأوي إلى أحدٍ إلا لأقسى عدوّ ما له ذمم

ثم يقول:

وتقصد الغرب أيدينا فهل رجعت إلا على قطعها والكيد يزدحم

والشاعر يدرك أن قضية «لبنان» هي قضية «فلسطين»، وهما معًا قضية الأمة العربية والإسلامية كلها، ولذا نراه يجمع القضيتين معًا في قوله:

أرض النبيين ما دمنا نخادع من شرق وغرب فلن ترقى لنا همم
«لبنان» تقصف، والباقي معرضة «والقدس» محتلة يبكي لها «الحرم»

ويستأنف الشاعر لومه للأمة التي أضاعت القدس، واليوم تساعد على ضياع لبنان،

(١) أبو سرور، حميد بن عبد الله بن حميد، إلى أيكة الملتقى ـ القاهرة ١٩٧٨، ص ٤٤.

يقول:

إنا أضعنا من الإسلام جوهره ... فضاع موقفنا وانهارت العزم
ومن يضيع لشرع الله يرمَ بما ... يذله وتوالت حوله النقم
ظلنا أو لله ولنرجع لشرعته ... ما هان والله من بالله يعتصم
ونحن للسلم والهيجا إذا زأرت ... ما إن بنا خور والشاهد الأمم
والسلم نقبل إن أعداؤنا جنحوا ... والحرب إن نكثوا يومًا هي الحكم

يلاحظ استلهام الشاعر للنص القرآني، خاصة قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ...﴾ (الأنفال: ٦١).

ولكن يطرح السؤال نفسه من الجانح إلى السلم؟ ومن يجري وراءه؟!!

وللشاعر قصيدة أخرى بعنوان «بين القنا والقنابل» يصف فيها الأحوال العربية في كل موقف سياسي تجتمع القادة، ويتمخض الاجتماع إلى لا شيء، وإذا شكونا إلى مجلس الأمن، فلن تجدي شكوانا، ولكن الحل في الوحدة العربية، والصمود المشترك، يقول:

أين التآلف هل رأيت من الملا ... إلا صحائف سوِّدت بالأدمع
نبكي ونجتمع الليالي نشتكي ... وقلوبنا لم تجتمع بالمجمع
كم قمة رمنا بها عرش السما ... فإذا بها من عرشها في مصرع
كم جلسة عقدت لأمن يبتغى ... أضحت بنا نارًا توجج أضلعي
ما الأمن ما التحرير ما باب العلى ... ما النصر إلا وحدة لم تُصرع[1]

* * *

(١) أبو سرور: باقات الأدب، القاهرة ١٩٧٥م، ص ٤٧.

فلسطين

من فلسطين انطلقت حناجر الشعراء نحو لبنان تشجب وتستنكر وتدين وتناضل، وتحث على النضال فالجراح واحدة، والمصيبة كبيرة بُحت الأصوات من شدة الحزن، بكى الشعراء دمًا على شهدائنا اللبنانيين، كما بكت على رحيل المقاومة منها، وأول ما نبدأ من هؤلاء، الشاعر هارون هاشم رشيد، ففي قصيدة له بعنوان «ماذا بعد يا لبنان» يتساءل الشاعر عن هذه المأساة، وإلى أين سنذهب نحن الفلسطينيين، فالقدس محتلة، وسيناء منتهكة، وبيروت محاصرة:

وماذا بعد يا لبنان! ماذا بعد يا لبنان
ركعنا من شطوط الأطلسي: إلى رُبى جيزان
صرعنا تحت أقدام الطغاة ومنجل الأحزان
قتلنا، ما لنا اسم، ولا علم ولا عنوان
فماذا بعد، ماذا بعد، فيم يكرس العدوان
وما في القدس منهوب، بها القرآن، والصلبان
وسيناء، يدنسها العدو، وتستبي الجولان
فماذا بعد يا لبنان، ماذا بعد يا لبتان[1]

وقصيدته «لأنها بيروت» يوضح فيها صمود بيروت الأسطوري، رغم القذائف وهلمجازر، ستبقى المدينة منارة للعلم، للحرية، ثم يشير إلى الخداع العربي والزيف الدولي، وبرغم هذا، وذاك ستظل «بيروت» مشرقة:

برغم الصواريخ رغم المدافع

---

(١) هارون هاشم رشيد، النقش في الظلام، دار الكرمل للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٣م، ص ١٧.

ورغم المجـــازر، وغم الفـــواجع
تظل بيـــروت، تبـــقى المطابع
تواصل إشـــراقـــهـــا، وتتـــابع
وتمسح بالحب، دمع الشـــوارع
فـبـيـروت مـهـمـا تحـيك الأصـابع
شـبـاك التـآمـر، مـهـمـا تخـادع
تظل منارًا مـضـيـئًـا وسـاطع
ورغم الصـــواريخ، رغم المدافع
تواصل إشـــراقـــهـــا وتتـــابع

أما قصيدته «ما بها بيروت» ففيها يُظهر الشاعر الحزن والموت في المدينة المحاصرة التي ذبحت بسكين اجتمع على شحذه عدة قبائل.. الموت في بيروت أصبح سهلاً وميسرًا، امتلأت شوارعها بالأحقاد الدفينة، تحطمت المدينة على مسمع من الصمت لعربي، بيروت أنثى لم تلد إلا الأحرار، لا يجيئوا إلى الحياة إلا بالدم المراق.

ويؤكد الشاعر بأن المقاومة الفلسطينية في بيروت، هي الوجه المشرق، وأبناء المخيمات هم الذين يذودون عن حماها، حتى تبقى عربية الوجه والتاريخ، والكيان، ويقول في القصيدة:

أنتم الشـعلة مـهـمـا رددوا ... من تقاهات ومـهـمـا لفّـقـوا
عـــربي وجـــه لبنان... وان ... لطّخـوه، عـــربي مـشـــرق
لن ينالوا منه مـهـمـا دبروا ... من خـيـانات، ومـهـمـا أطلقـوا
عـــربي وجـــهـــه تاريخـــه ... كل مـا فـيـهـا بهـذا ينطق[1]

طال التفرُّق والشتات بالأحبة، وهطلت القنابل، وتوزعنا على المنافي والفيافي العربية، الحنين إلى الوطن زاد حرقة، وأمل العودة أخضر وأينع، والمسافة مهما بعدت عن فلسطين فهي في قلب من أحب الوطن، لبنان كان الامتحان الحقيقي، دمّر لبنان،

(١) المصدر نفسه، ص ٢٥.

هتكت الأعراض، ديست الكرامة العربية، أُخرج أبطال المدينة منها بإجماع قبائلي عربي متخاذل، هكذا يخبرنا الشاعر مريد البرغوثي في قصيدته «طال الشتات» يقول:

لبنان مقبرة الكذب

لبنان مختبر السراب

لبنان وحدك من كتب

وهم الهوامش في الكتاب

لبنان جلجلة التعب

بوابة الحلم المصاب

تعب الفزاة، وما تعب

لولا ممالكنا الخراب

لبنان في الدم إن ذهب

باق يجلّ عن الذهاب

لبنان يا خيط الذهب[1]

يتابع البرغوثي أبياته متسائلاً أين العرب، وأين المسلمون؟ لبنان يذبح.. والجميع مسترخو الجفون.. أين أصحاب الدين؟ ماذا طبقوا من دينهم؟ وأين أصحاب القومية والتقدمية.. أين الألسن العنترية، وماذا تفيد القمم العربية المتتالية، يقول:

لبنان مقبرة العباءات التي كذّبت على أجسادها

لبنان مقبرة الفصيح القومجي

وكف صاحبه تثبت خيمة

وبكفه الأخرى يهبطها على أوتادها

لبنان مقبرة المصلي حين يسجد للصلاة تُقى

وينقش نجمة الأعداء في سجادها

---

(١) مريد البرغوثي، طال الشتات، دار الكلمة للنشر – بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص ٩١.

obeikandl.com

لبنان جرح للفتى الأممي، فضح للقريب وللقصي

مسلة الشهداء، قائمة من الدين العصي

وما تقدم غيرنا لسدادها

لبنان! قد يمضي بنا الممر القصير ولا نفيك

لبنان إذا قالت فلسطين اصطفوا الخِل الوفي سنصطفيك

وكفى دليلاً للمحبة أنه

ما رد موتك عنك غير الموت فيك

بل إن لبنان العربي، وأبياته تنادي بالوحدة بين فصائل المقاومة حتى يكونوا سداً منيعًا، ومن جانب آخر، هي تنذر من يخون، وتؤكد أن جزاءه الموت، يقول البرغوثي،

هل فيك يختتم النشيد دمي

أم بين كفيك المضرجتين

يبدأ مأتمي...

.....

يقول الطالعون من الحطام

وأمهات الرفض في دمهم

بأن الشعب أصدق حاكم.. والبندقية وحدها..

البندقية في يد الزيتون.. تذبح من يخون

حصار بيروت.. والصمت المطبق على المؤامرة... المذابح المروعة في مخيماتها الصمود البطولي.. المعاناة أثناء الحصار.. معاناة الروح والجسد.. النضال من أجل وطن للأطفال يرسمون، ويكتبون، ويطلقون الرصاص، يموتون.. ويفنون له من داخل الحصار.. من أقبية التعذيب والزنازين، يقول الشاعر محمد حذيفي في قصيدته «بيروت في حصار الصمت»:

يا أيها العرب «التقاة»، «الطاهرون»، «الصالحون»

النائمون على أرائك من صدور الجاريات

الوالغون بدمنا، ودمائنا

العائمون على بحار الدمع

في عطش القرون

الصامتون إذا الكلام يفيدنا

والصاخبون على المنابر

في الليالي المقمرات

يا كلّ أعداء الحياة

تتسنمون ظهور هذا الشعب

في الزمن الرديء

وتقتلون الحب في أعماقه

للأرض للوطن الذبيح[1]

يلاحظ أن الشاعر يعرِّض بالحكام العرب من خلال جمل كثيرة مثل: «الصامتون إذا الكلام يفيدنا»، «الصاخبون على المنابر»، ثم يحشرهم جميعًا في قوله: «يا كل أعداء الحياة».

ويصور الشاعر بيروت أثناء حصارها، ومحنتها مبينًا العطش والجوع اللذين حلا بالمدينة، ومن حولها - من العرب - يلهون، ويأكلون، ويسكرون، ولكن ستظل بيروت الرحم الذي أنجب الأبطال.. وتبقى كما هي عروس العواصم العربية المجللة بالسواد..

بيروت تلعن خاذليها الشامتين

بيروت تسكن كل نبض

في دماء الكادحين

بيروت رحم الأرض مزرعة النضال

---

(١) محمد حذيفي: ليل المشاعر، دار مجلة الثقافة - دمشق ١٩٨٣م، ص ٧٥.

obeikandl.com

وغداً سيأتي يومكم

يا كلّ أشباه الرجال.

أما سعيد المزين فله رباعيات كثيرة جمعها في ديوانه «سفر السيف» نراه يذكر «سعد صايل» أحد القادة الذين اغتيلوا عقب خروج المقاومة ورحيلها، فيقول:

إن أشـــرق في وطني «صـــايل» مـــقـــدام مـــوثوق عـــاقل

يحـــمي بيـــروت ويدعـــمـــهـــا برجـــال كم صـــرعـــوا البـــاطل

لا تنســـوا يومًـــا او تقـــفـــوا[1]

وفي رباعية أخرى نراه يشد من أزر المجاهدين، محمسًا لهم، فيقول:

مـــا تاهت خـــيل مـــواكـــبنا مـــا ضلت كل مـــراكـــبنا

لبنان جنوب مـــســـتـــعـــر والثـــورة باسم «مـــحـــمـــدنا»

لا تنســـوا يومًـــا أو تقـــفـــوا

الشاعر يتخذ من جملة «لا تنسوا يومًا أو تقفوا» متكأ يتكئ عليها ليعاود الانطلاق نحو رباعية جديدة تبلور فكرته وتحدد هدفه وخططته.

والدماء حبر يكتب به الشعراء، ويكتب به الشهداء وصاياهم للأجيال القادمة، كما يقول الشاعر عبد الناصر صالح في قصيدته «هل غادر الشعراء» التي أهداها ·إلى روح زميليه الشهيدين: أسعد الشوا، وعلي سمودي، اللذين ·استشهدا ·في مقاومة السجانين في مذنقل (أنصار ٣) في ١٦/ ٨/ ١٩٨٨م، يقول:

يتسابق الشهداء في سجن النقب

ليشكلوا بدمائهم جدلية الموت/ الحياة

(...) يتسابق الشهداء

يلتحمون بالرمل القديم

يسافرون لعرسهم

---

(١) سعيد المزين: سفر السيف، منشورات لجنة القدس – القاهرة، ط١، ١٩٨٥م، ص ٥٩.

(...) أعدوا للنشيد الحر

أسراب العصافير التي اجتازت سياج الموت

(...) لم يهبط الشعراء من عليائهم

لكنهم صعدوا إلى قمم التوحد

واستعادوا في الدجى أرواحهم

كتبوا وصاياهم بحبر دمائهم

قرأوا على البحر السلام

وجمعوا أصدافه

فتحوا لزخات الرصاص صدورهم

واستقبلوا سيل اللهب..[1]

أما الشاعر شوقي العمري فيتحدث عن الشهيد علي حسن سلامة، أحد المسئولين عن قوات الأمن الفلسطينية في لبنان الذي اغتيل بسيارة ملغومة، فيقول:

أواه يا علي حسن

قتلت يوم كنت برتقالة، حمامة، رصاصة

على الطريق للوطن

يا أم لمن هذي الراية

هذا المنديل الأحمر

مصبوغ برحيق فراشات فلسطين

الليل يدق على الباب، وقلبك سهران منذ سنين

ماذا يغزل هذا الأمل بسكين الحلم

سوى طرحة ثوب العرس القادم

---

(١) عبد الناصر صالح: المجد ينحني أمامكم، اتحاد الكتاب الفلسطينيين - القدس، ١٩٨٩م، ص ٩٢.

obeikandi.com

ماذا في ثلج العمر، على الشباك رجال

أعلام، خواتم[1]

الشاعر يتحدث عن الدم الذي يصبغ (فراشات فلسطين) الفدائيين المنديل الأبيض الذي تضعه المرأة الفلسطينية فوق رأسها كغطاء، ولذلك ناداها بتحسّر وتوجع (أواه)، فلن تستقبله الأم إلا محني، شهيدًا، عروسًا للفرح الآتي، ولعله باستخدام: الخنجر، السكين، يؤكد معنى الغدر الذي مهما كان خسيسًا فلن يؤثر على صلابة المقاتل والمناضل.

الطفولة هي البراءة والجمال والرقة، وأشد ما تكون القسوة والوحشية إذا وجهت للأطفال، فقتلت براءتهم، وشوهت جمالهم، واغتالت رقتهم، ولذلك وجدنا الشاعر أحمد الريماوي يصف مذبحة مخيم صبرا، ومخيم شاتيلا، وكان معظمهم من الأطفال الأبرياء، يصفه بأنه عمل أبعد ما يكون عن الإنسانية، فراح يحض على القتال ومواصلة النضال، برغم كل هذه المجازر، فالأهداب شظايا، والعيون هدايا ثمينة تزين جيد الوطن، أما الدماء فهي مرايا عرّت خفايا الجريمة والمشاركين فيها بقيادة «إريل شارون»، فيقول:

أطفال شاتيلا مشانق

أهدابهم شبت شظايا

وعيونهم أحلى هدايا

ودماؤهم سكبت مرايا

مزّقت ليل الكفن

زينت جيد الوطن

لألأت

عرّت خفايا.. خلخلت عرش الزمن[2]

وللشاعر قصيدة أخرى، عن شهداء مخيم «عين الحلوة» في جنوب لبنان، الذي

---

(١) شوقي العمري: القمر كان يبكي، دار القدس - بيروت (د. ت)، ص ١٤.

(٢) أحمد الريماوي: هلت من صبرا عشتار، مطبعة الكرمل، مخيم اليرموك - دمشق، ١٩٨٥م، ص٢٢.

تمرَّض للقصف والمجازر أكثر من مرة، فيصور الجرح بأنه يغني نشيد الأيام القادمة محملة بالأمل والتفاؤل، فيقول:

من عين الحلوة، أحسو نار الموت الشادي

ألحف قلبي برد المنف

يغني الجرح نشيد الآتي

يا لضباب العقم الجاثم فوق مدائن عصر أرعن[1]

ولا يريد الشاعر صخر حبش (أبو نزار) أن يصور وجه الشهيدة (دلال المغربي) التي قادت العملية العسكرية البحرية الشهيرة ضد الاحتلال الإسرائيلي في ١١/ ٣/ ١٩٧٨م، بل يريد لزحف صبايا العرب أن ترسم وجه (دلال) على شاطئ البحر، فدور المرأة لا يقل عن دور الرجل، فيقول مخاطبًا الجنوب اللبناني:

أكرر عندك يبدأ زحف المرايا

ليغرس في شتلة التبغ صاعقها.. والفتيل

وعندك يبدأ زحف الصبايا

ليرسم وجه (دلال) على شاطئ البحر

يغرس (غزة) فوق (الجليل)

وينشد أغنية المستحيل[2]

أما داود معلا شاعر يرثي صبرا وشاتيلا... وبيروت بقصيدة يقول فيها:

بالأمس كانت ترينا ثوبها القصبا	تختال فيه على أقرانها عجبا
بالأمس أي عروس أنت لاهية	تمارس الحب كاسا مدهقا وصبا
واليوم أي حريق بات يأكلها	يحرق اللحم والأعراق والعصبا

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣١.

(٢) صخر حبش: الحرب في زمن الحرب، الإعلام الموحد الفلسطيني (فلسطين الثورة) - بيروت ١٩٧٨م، ص ١٠.

كل الخـواتم ذابت في أصـابعـهـا ... وذوبت بعـدها الأقـراط والذهبـا
لم أدر مـا قلت أو مـا قـاله سلفي ... من ذا الذي يحسم الأمر الذي صعبا
أهكـذا أنت إســـرائيل ثانيـــة ... يريدك الغرب فينا مرتعًا خصبا[1]

ونلاحظ أن الشاعـر داود معـلا يقارن بين حالة لبنان في السابق حين كانت تزهو جمالاً، وحالها اليوم حين غزتها ملة الكفر قتلة الأنبياء، وما آلت إليه من خراب ودمار.

وكـران للكفـر مـقـرون سـلاحـهـمـا ... وخنجـران على أحـشـائنا ضـربا
باسم المـروءة أم باسم اليـهـود أتى ... حـزب الكتـائب هذا العـار وارتكبـا
حـقـد.. وقـتل.. وأشـلاء مـبـعثـرة ... ألا يـبين هـذا أنـهـم عـــــربـا
لـيـست عـروبتنا شـيـئًـا نقـدسـه ... إلا إذا كـان للإسـلام منتـسـبـا
ويلاه بيـروت هل كـانت مضاجعها ... تنام إلا دخـــانًا يخنق العلبـــا
فكيف صارت وفرسان الرجال على ... شـوارع الليل، نارًا تقـذف اللهـبـا
يحـمـون عـرض نساء المسلمين على ... أسنة الموت لا يلقـــونه جنيـــا
(ريجـان) يدعـو وإسـرائيل مـشقلة ... بالموت، والموت فـيـهـا بالغ أربا
حـتى إذا خلت السـاحـات وارتحلت ... جمـاجم الموت عن ميدانها غضبا
وكـبـروا.. ويد التـاريخ رافـعـة ... سواعد الصامدين الصيد، والعتبا
وقـادة (العـالم العـشـرين) مـانعـة ... دم الثكالى ولكن الجـبـــان أبى
يميل فيـهم وقد صـاحت جـوانبهم ... يقطع السـوق والأعناق والركـبـا
طبع الجبـان فـلا عـهـد يقـوم به ... ولا لقـاء بفـيـر الغـدر إن ركـبـا

لاحظ إشارة الشاعـر بقوله: «وقادة العالم العشرين» فيها إشارة إلى الدول العربية التي باتت تتفرج من بعيد.

يلوم الشاعـر القاعـدين عن الحـرب، ويذكـر القادة بأن من ينصـر الله فإنه سـوف يلاقي الجزاء الرابح، ثم يخاطبهم، وما بالكم تقاعستم وأطلقتم يد الكفر وقيدتم أيدينا؟

(١) داود معلا: الطريق إلى القدس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٤م، ص ١٣.

وأغلقتم نوافذ بيوتنا.. وظلت أكبادنا تقطع وتحرق من قبل إسرائيل وحزب الكتائب؟

ها هي إسرائيل عادت ثانية وعاد معها الصليبيون حاقدين على المسلمين.. فيقول:

يتيمة أمة الإسلام مفمدة ... سيوفها وهي تبكي الحق مغتصبا

يا قادة المسلمين اليوم موقفكم ... يخزي به الخزي مرتدًا ومضطربا

ماذا بكم؟ أطلقوا الأيدي تقاتلهم ... تقطع السيف في أجسامهم إربا

من كان ينصر دين الله فانطلقوا ... أمامه أسد حرب قادة نجبا

ماذا عليكم إذا فزنا بموقفنا ... وجدد الحق فينا العزم والأدبا

أبعد أكبادنا تلقى ممزقة ... نرضى بما قيل أو نرضى بما كتبا

أليس فيكم إذا سالت على يده ... دماء أطفاله مسفوحة غضبا

أتقفلون علينا كل نافذة ... وتطلقون يدي أعدائنا سربا

يعدو علينا الصليبيون مشرعة ... حرابهم يقتلون الأم.. والعقبا

ونحن من خلف الحديد بلا ... رأي إذا قيل أو أمر إذا ضربا

يتابع الشاعر قصيدته ويضرب أمثلة للأمة الإسلامية ويذكرهم بالقدس، التي تنادي المسلمين في كل مكان من أجل إنقاذ المسجد الأقصى من براثن الاحتلال، ولكن لا حياة لمن تنادي فالكل نيام.. ويتساءل الشاعر أين أنت يا صلاح الدين؟ أين القادة المسلمون الأحرار؟ أليس عندنا القرآن الكريم ويحثنا على الجهاد؟!!

ويدعو داود مملا إلى الوقوف في وجه أعداء الإسلام بكل قوة من أجل الحفاظ على كرامتنا وديننا، والجهاد في سبيل الله من أجل رفع راية لا إله إلا الله خفاقة عالية، حينئذ ترجع المقدسات والوطن السليب وإلا سيكون مصيرنا إلى الزوال على أيدي اليهود أعداء الدين، وأعداء محمد ﷺ، فهبوا يا بني الإسلام.

* * *

شعراء الكويت

مأساة لبنان كان لها وقع كبير عند شعراء الكويت، الذين نقلوا المأساة من خلال أشعارهم، فقد تناولوها من خلال افتخار بشهداء الحركة الوطنية مثل سناء محيدلي عروس الجنوب، وغيرها من شهدائنا المناضلين.

ومن شعراء الكويت محمد الفايز الذي كتب شعرًا يقارن فيه بين بيروت قبل الحرب، وبعد الحرب، كيف كانت قبل بدء المأساة اللبنانية؟ ماذا حدث في لبنان بعد الحرب ففي قصيدة له بعنوان «لبنان الملوح» يقدم لنا صورتين للبنان هما: لبنان السلام، لبنان الحرب. يقول على لسانها:

قالت هجرنا التين والزيتون ... والزاخرات بلابلاً وغصونا
والدواليات الناشرات ظلالها ... والحاضنات الورد والحسّونا
كانت روابينا تضج خمائلا ... مأنوسة ومشاتلاً وعيونا
هبطت بها كل الطيور وحلقت ... فيها قلوب العاشقين سنينا[1]

وينتقل الشاعر لتوضيح الصورة الثانية للبنان الجريح..

لبنان «قيس» آخر في شرقنا ... ترك الهوى والعشق فيه جنونا
فكأنه كف تغوص بها أظا ... فرها وجرح يزرع السكينا
جبل حزين إن أفظع صورة ... جبل تراه مهدّما وحزينا
كسيت به الأشجار ريش طيوره ... فتكاد تسمع للصخور أنينا

---

(١) محاضرات الموسم الثقافي لعام ١٤٠٠ - ١٤٠١هـ - ١٩٨٠ - ١٩٨١م، دولة الإمارات وزارة الإعلام والثقافة - الإدارة الثقافية، أبو ظبي، ص ٢١٦.

شاهدت «بيروتا» تنوح بجسمها وسمعت في آهاتها «حمدونا»

من بامرأة تنوح وعالم سكن الملامح فاستحال شجونا

يلاحظ أن الشاعر يستلهم التراث العربي من خلال العشق في سيرة «قيس بن الملوح» إذ ذكره صراحة، فالعشق إذًا قاسم مشترك بينه وبين قيس، ولكن المعشوق مختلف، فشاعرنا معشوقته بيروت النائحة، بينما كان قيس لاهيًا كباقي العرب.

كما يستلهم التاريخ من خلال «آل حمدون»، وقد جعلهم الشاعر ينوحون ويصرخون في وقت عزّ فيه الصراخ العربي!

أما قصيدة «وتمزق الأكليل يا لبنان»، فهي صورة حزينة للبنان، كل شيء تغير فيها، الطيور الفرحة أصبحت حزينة، الدخان يملأ سماء لبنان، وحل الكره مكان الحب، ومزق وجه لبنان الجميل، بفعل عصابة اشرأبت نفوسها منذ زمن بعيد على العنصرية والعمالة، يقول:

ألا لهفي على حقل لسلمى يقاجئه حريق في الماء

كأن طيوره والنار تسري بها شعل تطاير في الفضاء

ألا لهفي على تلك الدوالي كأن جذوعها أيدي الإماء

الا لهفي على حارات ورد وزيتون وأعناب وماء

تقوست السطوح بها فأحست ظهورًا مثقلات من عياء[1]

يتحسر محمد الفايز في الأبيات السابقة على لبنان لما أصابه من تدمير، ويعرض صورًا من الواقع اللبناني، ومن الطبيعة الجميلة لتكون شاهدًا على ألم لبنان وجرحه؛ فالوجوه مصفرة، والسواقي معطلة، حتى الطيور تعاني من الألم، فلا فرح ولا غناء، فضلاً عن الجداول الفارغة، حتى الجبل أمسى حزينًا، يقول:

على الألوان يحجبها دخان كما اصفرت وجوه من حياء

كأن عواري الشجر المدمى نساءً عاريات في كساء

تعطلت السواقي عن خرير وأحجمت الطيور عن الغناء

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٢٢.

وأفرغت الجداول من مياه ... كأعراق تلوح بلا نماء
لقد سقطت بوديان جبال ... كما ذابت شموع في إناء
ألا لهفي على الجبل المعنى ... فقد أمسى حزين الكبرياء

يستأنف الشاعر آهاته وزفراته الحزينة، حيث المشاهد المؤلمة، فيلتقط بعض المشاهد ليدلل على خراب هذا البلد، فالشرفات ليست كالشرفات، وتوقف همس النوافذ والسواقي... إلخ، ثم يستلهم الشاعر قصة «يوسف» (عليه السلام) مع إخوته، فإذا كان الأخ يسعى جاهدًا لقتل أخيه كما حدث مع «يوسف» فهو تمامًا ما يحدث هنا، حيث العربي في مواجهة العربي، وربما أسقط الشاعر على إخوته «يوسف» بإسرائيل، فهم منذ القدم سفاحو الدماء، يسعون في الأرض فسادًا، وربما أراد أن يقول: إن الطهر والبراءة في مواجهة الفساد والمكر دائمًا، فيقول:

ألا لهفي على الشرفات لما ... يدور بها الحديث عن الشتاء
على همس النوافذ والسواقي ... وهفهفة الستائر والملاء
على الواحات تزخر بالعذارى ... كما احتشد البهاء على البهاء
تعالي جربي عطشى وبئري ... عسى تجدين من بعض العزاء
فإخوة «يوسف» جاءوا أباهم ... وهم بيكون «يوسف» في العشاء
وما زال القميص به دماء ... وآخر مزقوه من الوراء

ولمحمد الفايز قصيدة أخرى بعنوان «القميص ودم الكذب» يصور فيها العرب ما بين منتهب يريد الأرض، وبين خانع راض بالاستكانة، يقول فيها:

تعالى أُريك جوانبهم
وانتفاخاتهم والذي يضمرونا
هم اثنان: بعض يصول
لينتهب الأرض، والبعض همٌّ ثقيل
ويتضح الأمر.. ينكشف السرّ..
إن دماء القميص ملفقة الكيد

والذئب منها براء

وإن الجناة هم الأخوة الأتقياء![1]

وفي قصيدة «الأشباح وأنوثة الأرض» يعقد مقارنة بين بيروت الماضي، حيث الحدائق الغناء، والعطور والرياحين، حيث الملاهي والمرح، وبين بيروت اليوم حيث الخراب والدمار، والقتل والتشريد يقول:

شاهدت في الأحلام

مدينة شطآنها سلام

وأرضها حدائق

وأفقها حمام

ينبت في مياهها اللؤلؤ والمرجان

والمسك في ترابها، والظل والريحان

.....

ثم ينتقل من تلك الصورة إلى صورة أخرى معاكسة لها ومغايرة، فيقول:

وفجأة باغتها الإعصار

وزلزلت من تحتها الأرض التي

قد بدأت تنهار

كأنها سفينة من قصب

تشب فيها النار

وحوصرت شطآنها بالغضب

وطوقت أرجاؤها باللهب...

وحاق فيها الخسف..

---

(١) محمد الفايز، تسقط الحرب، المركز العربي للإعلام، الكويت، ط١، ١٩٨٩م، ص ٢٣.

obeikandi.com

والتفّت على حيزومها الأخطار[1]

وهناك العديد من القصائد للشاعر تحكي المأساة وتصور حال المناضلين نذكر منها «الفتنة والأسلحة المعارة»، و«يبقى القمر منعزلاً.... «آه عليك يا لبنان»، ثم ديوانه المهم «لبنان والنواحي الأخرى» وغيرها.

وبرزت المأساة في شعر غسان مطر ففي قصيدة له بعنوان «زهرة المستحيل سناء محيدلي»، يوضح فيها ملامح المرأة العربية الأصيلة، والبطولة الفذة التي عانقت السماء، وبطولة سناء محيدلي، الفتاة الشابة، عروس الجنوب، التي زفت نفسها في أجمل حفلة عرس، اختارت سناء طريقها، تطايرت أشلاءها على أرض الوطن لتكون زهرات المستحيل، هذه سناء الحرية، رفضت العيش الذليل، أرادت الانتقام لشعبها، ولوطنها الذي صرخ متألمًا من الجراح، تلك الفتاة كانت مصدر إلهام للشعراء وللفدائيين، يقول غسان مطر:

لأن النبوءات ومض

أضيئوا عواصفكم،

واقرأوا فوق فستانها سورة النار

وامضوا

أضيئوا عواصفكم

فالدروب إلى سرها وطن

والهوى خاتم الكبرياء

ولا ترسموا وجهها

فالخرائط أجملها

ما نسيجه بالدماء[2]

والمتأمل في القصيدة – الطويلة – يلاحظ ارتكاز الشاعر على البعد القومي، حيث

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٩.

(٢) الكفاح العربي، ١٥/ ٤/ ١٩٨٥م، ١٢ نيسان ١٩٨٥م، ص ١٨.

بدا شاعرنا محبًا لوطنه وقوميته مدافعًا عن عروبته.

أما سعاد الصباح فتصرخ صرخة وجدانية مختزلة الحب والرفض، وتحرض على الثمور بما يعاني منه أطفال لبنان، وعلى ضرورة الانضمام لجيش العرب فتقول:

يا بلادي

اخرجي من نشرة العملات.. والأسهم

وانضمي إلى جيش العرب

إن في لبنان أطفالاً يموتون

وعرضًا يُغتصب

لبيروت متسع عند سعاد الصباح، وعلى الرغم من أن الشاعرة تتحدث عن بيروت المدينة، بيروت الذكرى والماضي الجميل، والحاضر المتعب، فإنها جعلت منها مفتاحًا سحريًا تعبر من خلاله إلى الحدود غير المرئية للمدينة العربية المعاصرة، وللهمّ العربي وللدمار العربي، وقد خصّصت الشاعرة لبيروت قصيدتين في ديوانها «خذني إلى حدود الشمس»، أما القصيدة الأول بعنوان «السمكة تعود إلى بحرها»، والعنوان ينبئ عما في داخل القصيدة من صور ومعان، فسعاد تلك السمكة التي خرجت من بحرها لظروف طارئة ها هي تعود ثانية هانئة لبحرها، فتقول:

ها أنذا أمام بحر بيروت

لأستعيد صداقتي مع الطيور الأسماك

وحواري مع اللون الأزرق

بعدما أرهقني العطش

أما القصيدة الثانية، وكانت تحت عنوان «بيروت كانت وردة.. وأصبحت قضية» تغوص الشاعرة إلى الأعماق في بحر بيروت، وتظهر أوجاعها باحثة عن الدواء الناجع، ومن ثم فهي تتفجر براكين أسى، ففي تلك القصيدة تقول:

آتي إليك اليوم، يا بيروت

هاربة من قلقي النفسي

من توجعي القومي

من أكذوبة السلام

آتي من التخلف الكبير

والتشرذم الكبير

والتناثر الكبير

آتي إليك من ثقافة الشراء.. والبيع

ومن مثقفي الظلام!!

آتي إليك اليوم يا بيروت

أمشي على حقل من الألغام

هاربة من مدن قد أحرقت تاريخها

وطلّقت مبادئ المروءة

وطلّقت مبادئ الإسلام

ثم تفتخر سعاد الصباح بالجنوب اللبناني الصامد، فتقول:

آتي إلى الجنوب

حيث الأرض تنبت الليمون، والزيتون

والأبطال

وتنبت العزة والنخوة والرجال

آتي إلى الجنوب

كي أقبل السيوف، والخيول والنصال

وفي فمي سؤال:

هل أصبح الجنوب وحده.. قاعدة النضال؟!

☆ ☆ ☆

obeikandl.com

لبنان

مأساة لبنان خلقت موضوعات شتى ومتنوعة. الدمار والخراب، والألم والأحزان حلت هذه الأشياء على كل بيت في لبنان شماله، وجنوبه، شرقه، وغربه، يتمت أطفالاً، ثكلت أمهات، رملّت نساء، شردت آلاف النساء، ضيعت وجه الشرق، أغرقت الشعب اللبناني وشريكه الفلسطيني في بحر من الدموع والدماء. ومن أبرز الشعراء الذين صرخوا صرخة الألم في وجه الظلم والاستبداد، الشاعر أدونيس ففي قصيدة له بعنوان «الوقت»، يوضح فيها عمق المأساة.. وشدة الألم الذي وقع فيه لبنان، وعانت منه بيروت طوال سنوات الحرب التي أكلت الأخضر واليابس، أو استبدلت الأخضر حطامًا، يقول فيها:

حاضنًا سنبلة الوقت ورأسي برج نار

ما الدم الضارب في الرمل، وما هذا الأفول؟

قل لنا، يا لهب الحاضر، ماذا سنقول؟

مزّقُ التاريخ في حنجرتي

وعلى وجهي إمارات الضحيه

ما أمرّ اللعنة الآن وما أضيق باب الأبجديه

يتابع أبياته مبينًا هول المأساة، والفاجعة التي ألّمت بالبيوت العربية، فيقول:

جثث يقرؤها القاتل كالطرفة/ أهراء عظام

رأس طفل هذه الكتلة، أم قطعة فحم؟

جسد هذا الذي أشهد، أم هيكل طين؟

أنحني، أرتق عينين، وأرفو خاصره

ربما يسعفني الظن، ويهديني ضياء الذاكره
غير أني عبثًا أستقرأ الخيط التحيل
عبثًا أجمع رأسًا، وذراعين، وساقين، لكي
أكتشف الشخص القتيل[1]

لوحة الموت، صورة أشلاء القتلى تملأ ساحات بيروت، أشباح الموت تلاعب الثكالى، ملحمة من جثث الناس في بيروت، وصيدا، وصور، دماء تسيل على أيدي الصهاينة، والوقت يسير بسرعة، والصمت أسرع من الوقت، وأمضى في جسد أمتنا!

ولأدونيس قصيدة أخرى بعنوان «ضوء الشمعة» بين فيها شدة القصف الإسرائيلي لبيروت المحاصرة، طائرات الفانتوم تلقي بقنابل النابالم على سكانها، الظلام الدامس الذي نتقلب عليه بضوء الشمعة النحيلة، وله قصيدة بعنوان «أشخاص» يصور فيها حرمان الأطفال وجوعهم وسحق أكوام الموتى وأشلائهم المتناثرة!!

وسجل أدونيس مجموعة أغنيات للجنوب اللبناني، يمجد الجنوب الحر الأبي، ويعتز بصلابة أبطاله، الذين عطروا ترابه بدمائهم، الأولى بعنوان: «أغنية إلى زينب» الفتاة الجنوبية.. الأم التي تحضن طفلها.. تفقد زوجها...

والثانية بعنوان: «أغنية إلى هذا الزمان» يوضح فيها أن أبطال الجنوب، هم الذين سيحملون مشعل الحرية مع الرياح اللافحة لهذا الزمان، رياح الثورة.. بذرة النضال[2].

سناء محيدلي عروس الجنوب - فجرت طاقة الشعراء، الذين تغنوا بالعروس الشهيدة، ورثوها بقصائد تمجيد وافتخار. ومن الذين كتبوا لسناء الشاعر عصام العريضي، إذ قدم صورة مشرقة للفتاة المناضلة، ابنة الجنوب، التي عبرت الطريق الصحيح نحو بوابة الوطن، ولحقت بها ابتسام حرب، ونزيه القبرصلي، وغيرهم من الأبطال الشهداء.. منارات الحياة والاحين الحرية والنضال.. يقول:

لم يعد اسمي ذكاء

---

(١) أدونيس، كتاب الحصار، دار الآداب، ط١، ١٩٨٥م، ص ٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٥، نشرت هذه الأغنيات إلى السيد الجنوب (الكفاح العربي) ١٨/ ٢/ ١٩٨٥م، وأجزاء منها بمأساة بيروت: ص ٥٨٩ وما بعدها.

قالت الشمس حبيبه

أنا بعد اليوم

أصبحت «سناء»

أجمل الأسماء

اسم لصبيه

أعطت العالم درسًا في الفداء

جاء فيه حجم القضيه

علم الأجيال بعد اليوم

أن البريريه

سحقت تحت حذاء لصبية[1]

يتابع الشاعر أبياته مبينًا بأن الشمس أذرفت دموعها على سناء.. وغيرها من الظواهر الطبيعية قد شاركتها هذه الأحزان، فيقول:

واعذريني يا سماء

قالت الشمس السنيه

أنا لن أشرق بعد اليوم

من وجه الغروب

مشرقي صار الجنوب

لقد اخترت الهويه

فأنا شمس الجنوب العربيه

لكن الشمس لم تشرق من الغروب كما ذكر شاعرنا، فكان الأليق أن يقول «أنا لن أُشرق من اليوم من عكس الغروب».

---

(١) عصام العريضي، ثلوج، دار العودة – بيروت، ص ٨١.

obeikandl.com

وتتضح مأساة لبنان في شعر عصام العريضي، الذي كتب عن بطولة المقاتلين في الجنوب اللبناني، حيث أورد شعرًا يصف بطولة ابتسام حرب، وسناء محيدلي، ووجدي، وغيرهم ممن قبّل الأرض شهيدًا، متحديًا صلف القوات الصهيونية وجبروتها، ونجد الشاعر في قصيدته «أم الشهداء»، وهي بلدة بيصور في جنوب لبنان، يبين لنا مدى مقاومة هذه البلدة لقوات الاحتلال، وهي أم لكل الشهداء الذين تصدوا لرصاص الاحتلال بصدورهم، يقول:

وطني فديتك والفداءُ وفاءُ ... وتراب أرضكَ طينة ودماءُ
من يوم أعطاك «المعلّمُ» نفسَهُ ... وعلى رمالك تَنْبُت الشهداء
لبنان نحن بناته وحماته ... والصفوة الشرفاء والحلفاء
لبنان نحن على ذري تاريخه ... أبناؤه الأبرار والآباء
لبنان نحن وليس من كفروا به ... فإذا بهم من حقدهم أشلاء
فولاء إسرائيل قبل ولائه ... والحرب تشهد أنهم عملاء[1]

والشاعر في المقطع السابق يشنّ هجومًا على عملاء إسرائيل في جنوبي لبنان وفي كل مكان، ثم يقول:

أمّ الشهادة لا أقول شهادة ... فعلى جبينك كوكب وضياء
قد صفت حبات القلوب قلادة ... في الجيد، تلك شهادة عصماءُ!

ويوضّح لنا في مقاطع قصيدته العطاء الذي يجب أن يقدمه ابن لبنان دفاعًا عن أرضه، ومثال ذلك بلدة بيصور أم الشهداء، والتي كانت قلعة حصينة، بل عطاء دفاقًا من الشباب الذين قدموا أنفسهم فداء لأرضهم ووطنهم.

ولكم سَخَوْتِ، وما شكوتِ، ببذلهمْ ... هل فوق بذْلك والعطاء عطاء؟
ركزوا لواءك فوق كل وقيمةٍ ... وهم على علم الفداء لواءُ

وهناك قصيدة أخرى للشاعر تدور حول الشهيدة البطلة «ابتسام حرب»، والتي اختارت طريق الشهادة لتنال دار الخلود.. الجنة التي وعد الله بها الشهداء، فهذه

---

(١) عصام العريضي: ثلوج، دار المودة - بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص ١٠٣.

ابتسام الفتاة العربية، مثال لكل فتاة في عصرنا الحاضر، كل فتاة تسير على نفس الدرب الذي رسمته ابتسام.. لقد سبقت إلى قوافل الشهداء، وفازت بدرجة عالية عند الله، بوركت الأم التي أنجبت ابتسام وسناء، وبوركت الأرض التي حملت بمثل هذه البطلة، وبوركت السواعد الفتية التي لقنت العدو درسًا في البطولة والتضحية، يقول عصام العريضي في قصيدته «ابتسام حرب».

من قال إنك يا ابتسام تغادرين

نشوى بعطر المجد

عطشى لخمر الخالدين؟[1]

وينتقل الشاعر إلى وصف حاله بعد استشهاد ابتسام حرب، وما هو واجب عليه تجاه أرضه وأمه، فيؤكد لنا بأنه سيسير على الدرب نفسه، وسيفجر الأرض بركانًا يحرق الأعداء أينما وجدهم.

إنيّ لأسمع صوتك الدافي يقول:

«أنا في أديم الأرض

أزرعها عواصف من جديدْ

أنا في صخور الأرض

أحبكها دروعًا أو جسومًا من حديدْ

أنا في البراكين التي التهمت جبالاً من جليدْ

سأعود بعد اليوم

في ثوب جديد»

إني أصدق يا ابتسام النصر

يا حريًا على سلم الجناة الراكعين

فغدا إلينا ترجعين

---

(١) المصدر نفسه، ص ٩١.

اسمًا جديدًا تحملين

رقمًا جديدًا تكتبين

وتسطّرين:

«ما نحن قومًا ميتين

للطّين نرجع مثله

من بعد حين

إنّا إذا غابت «سناء»

عادت إلينا في «ابتسام»

والشاعر في السطرين الأخيرين يحكي توالد الشهيدات، فإذا غابت «سناء محيدلي»، فقد عادت إلينا باسم آخر، باسم «ابتسام حرب»، وإذا غابت «ابتسام» فسرعان ما تعود باسم جديد، فالأرض ولادة بأبطالها وشهدائها.

ويتغنى بأمجاد أمته التاريخية الشاعر أحمد قدورة هذا الذي يدغدغ بشعره مشاعر أمته، ويعمل على النهوض بمجتمعه إلى الأفضل؛ ففي قصيدة له بعنوان «لبنان تحت وطأة الحرب» ينقل لنا صورة حية عن حصار بيروت، ومعركة ٨٢، والدور البطولي الذي قدمه أبناء الوطن، ويبين فيها مدى القصف الإسرائيلي وشدة المعركة، ومدى الخسّة العربية والصمت المريب، فيقول:

بيروت يا أماه تختصر الطريق

أواه ما كانت شوارعنا قفور

ما لون حاضرنا، وما شكل المصير...

أو تعلمين...؟

الطائرات الطائرات الطائرات

رباه ما أقساه قصف الطائرات

نزالة نزلت، وصبت صاعقات

هل زلزل لبنان..

أم دور الكواكب فجرت..!

ما صار في بيروت يا أماه..

حتى غارت الأنوار وانتهت الحياه

أين المقاوم، والمدافع، والحماه..؟

بيروت ما حل بها ...

دهياه من عنت العتاه

ويتمتم المذياع وقف النار

في أجوائها غصص حزين

لا رحمة في الأرض.. لا قلبًا يلين

في هجمة صلفاء كالرقطاء.. ينتحر الضمير..[1]

وفي قصيدته «دك الهمجية الإسرائيلية» ينادي الشاعر علي الانتفاضة لطرد العدو من الوطن، ومهما صنع العدو من أساليب لتدعيم احتلاله، فنحن الثوار. والثورة آتية لتحرق الأرض تحت أقدامهم، وسيعم الربيع أشجار بلادي، وتزدهر شجرة الحرية بفضل ثوارنا الأحرار.

يا رفاق الجرح لبوا صوت ثكلى

ذاقت الويلات والمر سنينا

لن تنالوا البر من شكواكم

ارفضوا الظلم لقوم غاصبينا

وابعثوها في بلاد العرب ثورات

تقيم العدل والحق اليقينا

ليس نيل الحق صلحًا إنما

نحن رغمًا بالسيوف الآخذينا

---

(١) أحمد قدورة، لبنان ودم الجنوب، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص ٢١.

obeikandl.com

نحن إن لم نطرد الغاصب طردا

من ثراك يا بلادي.. فاطردينا[1]

الأرض، العرض.. حماية البيت.. الشهادة.. الصبر على المكاره.. نجد ذلك كله في قصيدة له بعنوان «من قتل دفاعًا عن بيته مات شهيدًا»، والعنوان يستلهم حديثًا نبويًا شريفًا، ورد عن النبي (ﷺ) رغبة من الشاعر في شحذ الهمم الثورية وضرورة الثبات، فيقول:

سأزور البيت ويحدوني

عاطفة تنشد أطلالي

هدمتم جدرانه بيتي

بعثرتم أحجاره.. بيتي

بيتي.. انقاضه هزتني

تستنجد كفي تبنيه

من أجل الأرض.. أرويها

بدمائي عشت فأفديها

من أجل الأرض.. أحررها

من وطء الغاصب أحميها

جرحت القلب لأسقيها

الصبر دواء لم ينجع

سأرد الضربة بالمدفع

من أجلك أحيا يا وطني

ولأجل ترابك والمرضع[2]

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٠.

obeikandl.com

وللشاعر أيضًا قصيدة «إشراقة الجنوب»، يصرخ فيها بأن أيام خيبر عادت مرة أخرى.. فينادي.. يا مسلمون يا عرب، ها هو الجنوب يلقن اليهود درسًا، ثم يذكر بأن الإيمان القوي والسلاح هما طريق النصر على الأعداء.. الأبطال الذين حملوا إيمانهم وسلاحهم يحرسون الجنوب يعبدونه بدمائهم حتى ترفرف راية الحرية، فيقول:

يا أيها السيف الذي يواجه الفزاه
يا ذا الفقار انسل للعداه
ذي خيبر تعود من جديد
حصونها ترسانة السلاح
صهاين تحشدت..
من كل صقع أمَّت البلاد
وزادها «فلاشة» العبيد[1]
ما عاد إلا نعلن الجهاد
ليخفق الإيمان للغيوب
وليسلم الأطفال والجنوب
جنوب يا جنوب يا جنوب[2]

لاحظ أن الشاعر يستخدم أسماء قديمة أمثال «ذا القفار»، وهو السيف الذي قيل أنه سيف النبي (ﷺ)، ثم يذكر «خيبر»، ثم يسقط هذه الأشياء على واقعنا الآن من خلال «فلاشة العبيد».

وأما قصيدته «أليس لبنان مقربة الغزاة..؟» يوضح فيها بأن لبنان كان مقبرة للصهاينة الذين ظنوا أنهم يخرجون إلى نزهة كما تعودوا سابقًا، ولكنهم لن يعودوا مرة أخرى آمنين، يقول فيها:

في أرضنا لبنان

---

(١) إشارة إلى يهود الفلاشا، هؤلاء الذين هاجروا إلى إسرائيل من أثيوبيا.
(٢) المصدر نفسه، ص ٧٣.

obeikandi.com

يا أيها الفوارس العراب

ها نحن في مواطن الجدود

نطارد اليهود

في ثورة العقاب

.....

فعندما يوحّد الجنود

وتكسر الأصنام، والقيود..

الويل للزنيم..

والمعتدي الأثيم

ويصبح الدماء

في أرضنا عطاء..[1]

أما الشاعر الفيلسوف خليل حاوي، فقد كتب عن مأساة لبنان وأحداثها الدامية، وتعمق الجرح عنده، حتى وصل إلى مرحلة التفكير المسدود، واتخذ قراره الأخير هو التخلص من هذه الحياة التي لا يوجد فيها ما يشجع على الاستمرار. هكذا رحل خليل حاوي إلى دنيا بعيدة عله يستريح استراحة أبدية، وقد كتب عدة قصائد مخطوطة منها: أغنية الأصيل والمارق، قبل انتحاره المأساوي في ٦ يونيو ١٩٨٢م، ونلمح فيها قلق الشاعر على لبنان، ويأسه ومقته للطائفية وهاجس الخراب الذي نستشفه من قصائده، نلمح فيها صور الخراب والدمار، والجثث والأشلاء... يقول:

يا حملة الباطل!

كم حملة حلت على الساحل

كم حاولت أن تدعي

أصلاً عريقًا

في عروق القدس، والجولان، والحولة

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٨.

obeikandl.com

obeikandl.com

.. ومرت هموم رصاصية فجّرتها ارتعاشًا[1]

.....

وعادت سليمي تعبئ أطرافها بالشموس

التمت «ماجدا» قال.. قالت

وأضرمها في انطفاء المساء

وأودعها خلف صمت البيادر

مرت بشيخ يروض طفلاً كبيرًا

وسارت بزوج يدجن زوجته «أم ليلى»

رأت كلبة ذئبة في جراح الحدود

وعشر نساء يراوحن في ورق التبغ

زفّت مواعيدها خلفها

هاتف لفّها

وابتدت قلبها تحت خطو القمر

.. سليمي

كيف تبقين صامتة كالعذاب؟

.. أسمع صيفًا وجيعًا

أنا الآن سابحة في غنائي

على نزق الليل وحدي

يبعثرني الليل، يجمعني

أنبت في وشوشات الخرائب، عارية من رمادي

حبيبي ينادمني تحت كل العيون..

---

(١) مجلة فكر، العدد ٢١ – ٢٢، السنة الرابعة آيار/ حزيران، ١٩٧٨م، ص ١٦٧.

obeikandl.com

وجاء الذي جاء

جاء المساء

البكاء.. التعب.. وجاء العنب

كمثل قيد الكرم قميص حبيبي

كزهور الوزال خواطره

ويتابع الشاعر إلياس لحود قصيدته بوصف دقيق لنفسه التي تمثل الناس جميعًا، ويذكر الأزهار والرياحين والأرض التي تخرج منها هذه الأزهار.. هذه الأرض التي أصبح الدم فيها وكأنه الماء الذي يسقي المزروعات.. نيسان كرنفال دموي.. رفعت البنادق، وأطلق الرصاص الحاقد على الصدور، بدلاً من إطلاقه صوب العدو الكبير الشبح الذي فجر الفتنة الأهلية، تصوير دقيق لمشاهد الحرب الدامية، فيقول:

والتربة قبل العرس وحيدة

وأنا كتارة هذا الهمس المتلاشي في كل غناء

خذ كبدي من لهب الثوب

وضمده بأريج الصحو

أنا المعتوقة بين يديك

أنا المسفوحة بين يديك..

وجاء الذي جاء

جاء الضباب

الصباح.. التعب

اختزن يا ضباب المراعي فمي.. خضّب ربيعي بصيف قتيل

وغاب الذي غاب.. جاء الصنوبر، والعاشقات ارتشفن الربى

ظلام الليل والدخان.. دماء كثيرة تنزف من طفل.. غطته ملابس والده الذي احتضنه.. التصق به من شدة القصف الوحشي.. كل شيء ينزف، الشجر، الحجر،

الأكواخ البيوت، تسمع صرير الدماء من خلال ولولة الريح.. ويؤسى الشجر الذي أصبح ثمره رصاصًا.. دماء.. اشتعلت النار واشتد أوارها.. أشلاء تتناثر، وعويل من هنا وهناك..

ويتابع لحود قصيدته في وصف الحرب الأهلية بقوله:

ألمح في الشجر الدموي ثمارًا أضرمها نيسان

- نيسان محترق فوق الأغمار الذهبية -

.. ألمح في الأكواخ تشيدًا محترقًا بطيوب جذلي

عبر حدود الوطن النازف

أطلقت صباحي وحدودي

أنزل من أيامي الصعبة

أصعد في تاريخ بلادي

أطرق باب الفرح اللاهث

يصحو في ظلمات فؤادي

هذا قدر النبض الزاحف بالأنشوده

أسمع في الشجر الدموي صرير الأزمنة المولوده

حين صعدنا من أقبية الزمن المهترئ الشفتين

رفعنا الصوت الجائع. قالوا:

نقطع هذا الصوت

رفعنا دربًا للطاحونة. قالوا:

نقطعها نقطعها

.....

ألمح في الفسق الجوري رغيفًا

أكبر من عرس في غرف الشمس

obeikandl.com

وابصر حصّادات.. حصّادات

وبيوتًا كفمام الماء.. وساحات وأيادي

فارفع كفك يا وطن الزفرات الحمر

لقد صعد المرس الوتريّ إليك

من العرق الجائع..

ولحود يتابع أبياته الشعرية واصفًا الفتنة التي عصفت بالناس في بيروت، هذا الجرح النازف تجده على وجه كل إنسان عاش المحنة في بيروت، وضواحيها، بل في لبنان كله. يقول إلياس لحود في قصيدته الملحمية الكرنفال الدموي:

قافلاً من حلم النازح محمولاً على ريح طروب

ساحبًا خلفي حكايات طويلة

ويمر الساحل العاشق بي

يسألني عمّا رأيت اليوم.. أصفي

قد سمعت اليوم دكانا

تصب الشاي، والسهرة للناس

سمعت اليوم جرحًا ضاحكًا يصفح عني

.....

فاسكبي صحوتي في الكؤوس.. اشربي

بعد ليل الخطايا

دخلت المدينة من دفئها المائل نحو الجنوب

أيها الشجر المتّكي فوق قلبي

ويا أيها النهر.. يا ساكنًا في ضلوعي البعيدة

هل كلمتني سليمي.. بعينين من عبق القمح قبل الحصاد

مواسم عينيّ بائرة قبل يومين

obeikandl.com

من مهجتي، واحتراق الدوالي

وعلى خطوات من قافلة تلتهم الأصوات

وتخرج من غزّار النهر

ودفلى الطاحون المتعانق

استرسل في خصل الشمس

وأقلب أوراق الأيام

وأدنو فوق حصى كرويّ من أنفاس الحقله

تتفتح أنفاس الوادي

تتألق أضلاع التربة

ظهرًا تطلع من شرنقة الأرض المصفودة

أغنية العاشق

أما الشاعر علي بدر الدين فيتخذ من الحرب الأهلية مدخلاً لقصيدته الطويلة، وأوضح من خلالها ما خلفته الحرب من دمار للبلاد وإزهاق لأرواح العباد، وما هدفها إلا السيادة على البلاد، فيقول في مطلعها:

الحرب تدمير البلاد نتاجها وحصادها الأموات والأيتام

(...) لبنان أدمت قلبه وفؤاده فتن لهن تأجج وضرام

وفي نهاية القصيدة يقول:

بلد تسبب أهله بخرابه إن السكوت عن الآثام آثام[1]

أما الشاعر هدى ميقاتي فتتذكر «قانا» ومذبحتها، وذلك في قصيدتها «رؤى قانا.. وحديث الستارة»، فتقول:

ترى يا ليل.. لو أسقيك دمعي.. تعاقرني الجوى تغدو خليلا

أبثك شكوتي وزفير «قانا» يصعّد ذابحًا في الصدر جيلا

---

١) مدار الأفكار: صالون غازي القصيبي الثقافي العربي، الكتاب الخامس، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص ٥١٨.

obeikandl.com

ووجه الأمنيات يفرُّ مني.. ألا أرجمه.. حاذر أن يحولا

أيمكن أن أخون الروح يومًا وألبس هامتي وجهًا بديلا؟[1]

وللشاعرة قصيدة أخرى بعنوان «من قال» تشحذ من خلالها همم الرجال، وتشد أزر المناضلين، عساهم أن يفوزوا بإحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.

* * *

(١) هدى ميقاتي: هكذا يغني طائر الأرز - مختارات، اختيار وتقديم إسماعيل عقاب، الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١١٥.

obeikandl.com

اليمن

مأساة لبنان، وحصار الجنوب، والأحداث الدامية في البلاد كلها كان لها الأثر الكبير عند شعراء اليمن، وليالي بيروت قبل الأحداث، جاءت أخبارها على لسان الشاعر اليمني الكبير عبد الله البردوني في قصيدته «ليالي بيروتية في حقائب سائح عربي» بيَّن فيها كيف كانت الحياة في لبنان قبل الحرب اللبنانية، ثم عرَّج إلى ما آلت إليه...

وكـــانت تلبس اللحظات.. نهـــرًا طائر المجّـــرى
وكـــان الليل يســـتلقي كسقف الحاني السهرى
وكـــانت غـــرفـــتي العطشى بأظفـــار الأسى شـــجّـــرا
كـــمـــصـــفـــور بلا لون يجيء الحلُمُ والذكـــرى
كـــأشـــلاء من الأحـــجـــار تكبـــر، ترتدي ثعـــرى
كـــشـــرطين يقـــتـــســـمـــان فـــخّـــذ أجـــيـــرة سكرى

يتابع الشاعر أبياته مؤكدًا انقلاب الحياة في لبنان عما كانت عليه سابقًا، فيقول:

وشـــاب الليل، والسلطان في بـوابـة المسّـــرى
يفـــوص بعـــمق رجليـــه من اليـــمنى، إلى اليـــسرى
ومن كـــبش إلى شـــاه ومن أهّنا، إلى أمّـــرا
لهـــذا ترتجـــيـــه (القـــدس) يرفع بيـــرق البُـــشـــرى[1]

أما عبد العزيز المقالح، فقد كتب للمأساة في بيروت، في الوطن العربي، وحصار عكا هو حصار بيروت، والعكس صحيح، فمدينة بيروت المحاصرة هي وجه لكل المدائن

(١) عبد الله البردوني، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الثاني، دار العودة - بيروت، ط١، ١٩٧٩م، ص ٥٧٣.

العربية، ولكن وجه بيروت نقي طاهر وضاء، بعكس السواد الذي يجلل المدن العربية لصمتها الذليل، ففي قصيدة له بعنوان «نقوش وتكوينات في جدار الليل الفلسطيني» يرسم المأساة على وجه أطفال المخيمات في لبنان.. فلسطين، وجوه تنطق بالمعاناة اليومية من القريب أو البعيد، ولكن لا مجيب لها!!

إنه وجه عكا..

وهذي القرائن أجمعها من رفات المنازل

من صخرة يحزم العشب جبهتها

ويصير صديقا

يعاند كل السكاكين، يشحذها،

إنه وجه (عكا) استطال به الحزن

يرحل بين الزمان، وبين المكان، ويصرخ:

من أين جئت؟

لماذا أموت؟

لماذا أنا شارد، وقتيل هنا في براري الشام،

وعكا هنا محاصرة بسيوف من القمع؟

وجهي يضيع هنا، يضيع

ويصنع لي طفلي النعش

يصنع لي طفلي القبر

يصنع لي بيديه النهاية

إني أضيع، أبيع..

الشتاءات مرت على جسدي

أوغلت في دمي

obeikandl.com

obeikandl.com

يقتلون بعضهم بعضًا، فيكفون الكرام البرره

نار القتال المستعره

ألا تراهم يستحقون وسامًا من ذهب

لم لا يكون من نحاس أو حديد أو خشب

بل من ذهب

وما نسميه؟ نسميه وسام الاعتراف بالجميل

نعلنه في كل من هب ودب

وكيف يختار الوسام منظره؟

نجمة داود وفي

أطرافها الستة سيف عنتره

لاحظ أن الوسام المقترح يصف استهزاء إسرائيل بتاريخ العرب، وهو ما وضح من خلال السطر الأخير، حينما يرسم فوق الوسام سيف عنتره!!

الشاعر يصف حال إسرائيل، وهي تفكر في منح عملائها جائزة - جائزة الخيانة - ولكن يقول على لسانهم، إنهم خائفون حتى من عملائهم، فيقول في القصيدة:

يا للأسف!

كنا نريد الاعتراف بالجميل

حتى تكون الأوفياء[1]

أما عبد الولي الشميري، فيصف الحال العربي الراهن، حيث التفرُّق والتشتت، والخذلان، ويتخذ من ذلك مدخلاً لقصيدته «ماذا أقول»، الشاعر تخيل نفسه وهو واقف بين يدي الله (عز وجل)، وهو يسأله فماذا يكون الجواب، يقول فيها:

ماذا أقول لربي حين يسألني ... إذا بعثت غدًا في معشر العرب؟

وجئت أحمل من أخبارهم قصصًا ... أبطالها كل أفَّاك وكل غبي

---

(١) محمد عبده غانم، الموجة السادسة، دار آزال للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٥م، ص ١٩١.

obeikandl.com

مـــاذا أقـــول وقـــومي هؤلاء هم ... إذا أحـاط حـمـاهـا مـارج الغـضب
مـاذا أقـول تحـررنا؟ ومـا بـرحت ... خـيـول أبرهة في جـيـشـهـا اللجب
والفـيـل يقـتـحـم الوادي وليس لنا ... من الأبابيل مـا يشـفـي من الكرب
عـدو الفـوارس دوي في مـمـاقلنا ... ونحن كالشاة في عدوى من الجرب
مـاذا أقـول وحـولي من عـسـاكـرهم ... مليـون مـاهرة في الرقص والطرب
قـالوا: تـريليـون عند الغـرب ثروتنا ... والشـعب في نرك الإمـلاق والسـغب
في الروع مـا عـاد من ذكري لمنتـرة ... واستسلم اليوم عالي الرأس للذنب![1]

الشـاعـر في قصيدته يتكئ على التراث الإسـلامي ممثلاً في آيات كريمة، تلك التي تحكي قصة أبرهة الحبشي وجيشه الجرار، في مواجهة آلة ضعيفة، ولكن مع ضعفها كانت لها الغلبة والنصر بفضل قوة إيمانها بعدالة السماء، كما يتخذ الشاعر عنترة مصدرًا من مصادر الصورة، حينما وصفه وقد استسلم لقوة غيره، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا دفاعًا، كما استخدم الشميري في قصيدته آلية فنية هي التكرار في جملة «ماذا أقول»، والتي توحي بمدى اليأس الذي أصاب شاعرنا من أحوال العرب، الأمر الذي جعله متحيرًا في إيجاد إجابة يرد بها على المولى (عز وجل).

أما الشاعرة جميلة هادي الرجوي فتتخذ من حرب ٢٠٠٦م مدخلاً لقصيدتها «رمز البطولة.. مرحبًا»، ومن خلال القصيدة نرى الشاعرة قد دبَّ فيها الأمل بالنصر المظفر الذي حقَّقه الجنوبيون على إسرائيل، فنراها تقول:

عودي إليّ كرامتي
واستنهضي نفسي التي
صارت بفعل اليأس تخفض
هامتي[2]

---

(١) عبد الولي الشميري: ديوان أوتار، مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب والفنون - صنعاء، ط٢، ٢٠٠٢م، ص١٠٣.

(٢) مجلة الرباط الأدبي: نشرة غير دورية تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة، العدد (٩) ديسمبر ٢٠٠٩م، ص ٦٨.

ومع تباشير النصر، وانقشاع ليل الحزن العربي، تقول في القصيدة نفسها:

وانزاح ليل الظالمين بفجر

نصر الله يزرع في مآقينا

ابتسامه

ويعانق الأقصى عناق الحرِّ

لا يرضى سلام الخانعين، ولا يساوم

بالكرامه.

هكذا تفاعل الشعراء اليمنيون مع إخوانهم الشعراء العرب في وصف مأساة لبنان وتصوير تفاصيلها الدقيقة، علّهم بذلك يوقظون الحسَّ القومي الذي تبلَّد شعورًا وأحاسيسا.

أما شعر المأساة في الوطن العربي الإفريقي، فلم يكن أقل من نظيره الأسيوي، وهو ما سنوضحه فيما يلي.

* * *

الفصل الثاني

موقف الشعراء العرب في الجناح العربي الإفريقي

obeikandl.com

obeikandl.com

تونس

شارك بعض الشعراء التونسيين في الهم اللبناني، وجاءت أشعارهم معبرة عن الحزن والأسى لما أصاب لبنان وأهله، ومن أبرز هؤلاء الشعراء هشام الدمرجي، حيث قدم مقاطع تمثل الصورة الواقعية لبيروت، ووصمة العار التي ارتسمت على الوجوه.. يقول في قصيدة له بعنوان «أخبار بيروت»:

نقرأ الصحف اليومية
خارج أسوار بيروت
قد نبكي
أو نضحك،
أو نحتج،
أو نرتج،
أو نشمت،
وفي كل الحالات نموت
على الوجوه عار يعشش كالعنكبوت
وتطل عروس العواصم، أم العواصم
كالسرو تجابه كل الفصول
وتقسم أن لا تموت[1]

يوضح هشام الدمرجي بأن حياتنا أصبحت احتجاج، وبكاء على جانب، وضحك، ولهو على الجانب الآخر، ولكن في النهاية نموت، وإذا كان الموت نهاية كل كائن، وهي

(١) هشام الدمرجي، مرافئ الحزن، شركة فنون للطبع - تونس، ص ٩.

الحقيقة الأبدية التي نسعى إليها في كل يوم يمر علينا نقترب منها، إذ كان الأمر كذلك، لم لا نموت كرماء، وهذه بيروت عروس المواصم، وحدها تقاوم. أبطال بيروت، وأشبال الثورة الفلسطينية، قدموا الكثير من أجل لبنان العربي، وفي جنوبه سطر أطفال فلسطين ملاحم بطولية.

وفي قصيدته «يوسف» يخبرنا الشاعر عن الطفل الفلسطيني، ابن المخيم في جنوب لبنان، وقد صار رجلاً في غير أوانه، «يوسف» يمثل كل أطفال فلسطين في الداخل والخارج.. يقول:

شرب الأخبار مع القهوه...

واسترخي قليلاً... ثم

استجوب دولابه..

أي ثوب يلبس من أثوابه؟

الأسود؟ لا.. لا..

فذا زمن الفرح العربي المُنْسَلّ

عن أتعابه..

فليلبس ألوان الفرحة الصيقية..

وليبق اللون الأسود...

لطفل فلسطيني...

يصطاف بين المدفع، والدبابه

اسمه يوسف...

فاحفظوا اسمه...

إنه الغضب العارم

إنه الوطن القادم

كان يوسف..

طفلاً يتيم الأوطان..

obeikandl.com

حين يغلبه الليل

يبحث عن زند كي يقلم

وعروس المواسم كانت...

بلا زند آمن...

ولذا كان يوسف

نهارًا يصرع عشرين دبابة..

وفي الليل.. يُطعم.. أسراب الحمام

يلاحظ الاسم في القصيدة «يوسف»، وهو اسم كنعاني موغل في القدم، وهو اسم نبي من أنبياء بني إسرائيل، وقد استعار الشاعر هذا الاسم لطفل عربي يجابه وحده طغيان العالم تمامًا كما واجه «يوسف» (عليه السلام) إخوته، وهو وحيد قد صور الشاعر لقطة من لقطات الحياة اليومية، وهو - يوسف - يتخير ثوبًا يرتديه، ثم يلاحظ قوله: «إنه الغضب العارم»، «إنه الوطن القادم»، وقد صدَّر جملته بـ «إنه» المؤكدة، وربما أراد الشاعر أن الغضب العارم هو طريق الوطن القادم.

- أما الشاعر أحمد اللغماني في قصيدته «لا أفهم» يقف مشدوهًا أمام ما يحدث على الساحة اللبنانية، وكيف أغرقت الدماء لبنان، أخوة يقتتلون، وكأنهم يتنازعون على ميراث جد أو أب:

لا أفهم كيف تدور اللعبة أثر اللعبة في لبنان

وتصير الرقعة سطحًا أحمر تغرق في دمه الألوان

في أرض سلام كانت تربط بين الشيخة والرهبان

لا أفهم كيف يجن المرء فتسمل إصبعه الأجفان

كيف المجنون يجر على جنبيه الخنجر في اطمئنان

ويدك البيت فيهوي السقف عليه، وتنقض الجدران[1]

---

(١) محاضرات الموسم الثقافي لعام ١٤٠٠/ ١٤٠١هـ - ١٩٨٠/ ١٩٨١م - دولة الإمارات العربية المتحدة - أبو ظبي، وزارة الإعلام والثقافة، ص ٢٤١، نقلاً عن ماساة بيروت، ص ٥٥٥.

ينادي الشاعر العرب ويذكرهم بصلاح الدين الأيوبي، وأيام الفتوحات الإسلامية ويحسر من اقتتالهم مع بعض؛ لأن ذلك لا يفيد إلا عدوهم الرابض أمامهم بكل مكر وخديعة، ونجد في أبياته وضوحًا في المعنى، وبعدًا وطنيًا دينيًا.

لا أفهم كيف الأمة صارت نهب العابث والدجال
فرقًا تتآكل، بل مزقًا تهدي للئاب الأدغال
لا أفهم يا أحفاد صلاح الدين، ويا نسل الأبطال
لا أفهم يا لبنان لماذا يقتلنا بعد العار؟
ما زلنا نفخر بين الناس بأنا الصفوة والأخيار
ما زلنا مثل المسطولين نفاخر بالمجد المنهار
ما زلنا - يا لبنان - صغار نرفل في أزياء كبار

كثرة التساؤلات في السطور الشعرية السابقة يعطي معنى الحسرة والفجيعة التي ألمت بالأمة، وما زالت تحيط بها!! ويضع الشاعر الأمة أمام واقع حقيقي، وهو أن العرب يحذقون فن التمثيل في الحرب، والنجدة والشجب، ثم يورد صورة من الحياة تؤكد ذلك، وهي تمثيل الأطفال الصغار أمام البيت لمشهد حربي، ويجزم الشاعر بأننا أعداء أمتنا، وقاتليها، فنحن المجزرة والجزار، ثم يأتي سؤال الحسرة، لماذا لم يقتلنا العار؟ وإنه لعار أن نبقى أحياء!!

ما زلنا نمتهن التمثيل ونتقن توزيع الأدوار
كصغار السن إذا خاضوا ميدان الحرب أمام الدار
حزم الأعواد بنادقهم، وذخيرتهم كوم الأحجار
ونقيم الكون ونقعده بشعار يرفع بعد شعار
وتدل فضائحنا أنّا نحن المجزرة والجزار
نحن الأعداء لأمتنا، ولقاهر أمتنا الأنصار
لا أفهم - يا لبنان - لماذا لم يقتلنا بعد العار

أما محمد أحمد القابسي، فيصور الخراب الذي يخيم على «تل الزعتر»، وهو أنموذج من المدن اللبنانية الأخرى التي تعرّضت لقصف القنابل الإسرائيلية، فيقول في قصيدة بعنوان: «براق الموت.. براق التل»:

ما عاد ثمة ماء.. ما عاد ثمة جبل

تكبر أنهر الدم فيك

فأين السفن؟

أيها السيد الذي كان الشمس

للهمج أبجدية تكبر فيك

تقرع طبول البرير والصعاليك

هي المعاليك شاءت أن يسقط «التل»

وأن تتشهى الصقور بلحم الذبائح!!

فمن يركب معي براق الحزن

زمن الأعراس الدموية؟

من يعبر معي جسر الموت إلى جسر الولادة في التل؟[1]

وللشاعر بعض القصائد الأخرى تصور المأساة اللبنانية بدقائقها وتفاصيلها، نذكر منها: قصيدة «اعتذار إلى أبي ذر الغفاري»، وقصيدة «من تغريبة أحمد الشاهد»... وغيرها من قصائد.

* * *

(١) محمد أحمد القابسي: البحر في كامن، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله - تونس، ط١، ١٩٧٧م، ص ٩٥.

obeikandl.com

الجزائـــر

ومن الجزائر يدوي صوت ثوري، يصدح بالمأساة وأهوالها وما فعلته من تخريب وتدمير، ثم تراه يفتخر بأبطال جنوب لبنان، ويحيي عروس الجنوب – سناء محيدلي – ويسخر من العجز العربي، مقارنة بما حققه الأبطال في لبنان، إنه الشاعر ناجي محمد الإمام.

وقصيدة «هم الأهل» توضح ما أراده حين اعتبر جنوب لبنان، هو الوطن، وأهله هم الأهل؛ لأنهم لم يقبلوا الذل والعبودية، وسعوا جاهدين من أجل التحرير، واستطاع الفدائيون في جنوب لبنان من تحقيق الانتصارات المتكررة، والتي انتهت برحيل العدو الصهيوني. إن المقاومة اللبنانية والفلسطينية هما درع الوطن، وسلاحه النافذ إلى قلب العدو الصهيوني، بهمة أبطاله الذين قدموا أرواحهم رخيصة من أجل تراب الوطن وعروبته.. يقول:

وتمترست الزهره

بالدمعة..

فانداح الطل

على حاجبي طفلة

من بقايا بني عذره

فطوبى لساكنه من طلل

حين يفقد رب الهجائن «حاجزه»

وتشمخ بين ضفائر زرع الجنوب..

... «سناء»...

تواري العناكب أعقابها...

وتنبطح الترهات،

«فبرج البراجين»

عين الحقيقة.

جنوب المماثل واقعة

سقط السيف فيها على خده

حين لم يبق في حده أي حد...

وحين تساقط من غمده الأمل..[1]

يلاحظ استلهام الشاعر للتراث العربي، من خلال كلمات كثيرة منها «بني عذرة»، «الطلل»، «السيف»، كما يستلهم التراث الصوفي من خلال جملة «عين الحقيقة»، كما يعتمد على جغرافية المكان من خلال تحديده لـ «برج البراجين».

يتابع الشاعر ناجي محمد الإمام أبياته مؤكدًا بأن الجنوب اللبناني هو ساحة الإصرار والشرف، فكيف لا يمشقه الإنسان الحر الأبي، ويذكر الشاعر ببطولات صيدا، وقلعة الشقيف، وصور، وتانا، وغيرها من بطولات، يقول:

«هم.. الأمل»..

لا يعرف الشوك

لمسة ودّ...

هو البرج يعلو

ويعلم «هارون» أن «الأمين»

أحب «الرصافة».. والأدبا

وأورث «قورش» «مامونه» طواويس...

---

(١) شؤون أدبية، السنة الأولى العدد ٢ صيف ١٩٨٧م، مجلة اتحاد كتاب وأدباء الإمارات – الشارقة، ص ١٩١.

obeikandl.com

... من عسجد نُضبا

فهلا سألت الطلول «بصيدا»

وهلا سألت «الشقيف»

يحدثك عن موبقات «الإمامة»

عن أمل يسفك الأملا

إشارات واضحة نجدها عند الشاعر في أبياته عن الشيعة في جنوب لبنان، وكيف أنها لعبت دورًا بارزًا في الحركة الوطنية اللبنانية، ويتجلى ذلك من خلال الأسماء الواردة في المقطع، وما يستتبعها من هوامش دلالية وإسقاطات فتية، ولا شك أن هذه الإسقاطات تعطي القصيدة إشراقًا وتوهجًا، وتعمّق الفكرة وتوضّح الصورة بما لديها من رمزية.

وكانت حرب «حزب الله» الأخيرة مع إسرائيل ٢٠٠٦م فرصة تتفّس من خلالها الشاعر عبد الله جدي بقوله في قصيدته «نصر الله»، والتي تحتمل معنيين، أولهما: النصر الحسي للجيش في المعركة، وثانيهما: حسن نصر الله زعيم حزب الله في الجنوب اللبناني، ترى الشاعر يقول:

دوّى الرصاص ولاح البرق في عجل ... والنصر يوقعهم في منتهى الشلل

ويل لهم لقطاء الأرض ساعتهم ... باتت على يد «حزب الله» في جلل

هذي «فلسطين» يا «لبنان» عاشقة ... للوصل فاحتضني الأبطال بالقبل

أبكى، وأطلب رب الكون ينصرنا ... والنصر يأتي بلا خوف ولا وجل

«نصر قريب»، وفتح لا مثيل له ... «حيفا» على يد «نصر الله» كالطلل[1]

يلاحظ استلهام المعاني الإسلامية في المقطع السابق «أطلب رب الكون»، «نصر قريب وفتح»... وللشاعر قصائد أخرى عن مأساة لبنان نذكر منها «مرثية نهر البارد»، وقد ضربت أثناء الحرب الأهلية، يقول الشاعر فيها:

---

(١) منتدى أبيات، شبكة المعلومات الدولية (إنترنت) www.abyat.com

«لبنان» إن طلب الشرقي عنوان ... «لبنان» إن طلب الغربي أعوان

نار على «باردة» والغرب قرّرها ... كوني سلامًا على آل هنا كانوا

إن الأمور على أيامنا اختلطت ... والسر ذاع، وفيك السر إعلان

الموت فيك على أهواء عولمة ... شتان أمس، وفيك الحرب شتان

بالأمس «لبنان» لا رهط يساندة ... واليوم يسنده طاغٍ وطفيلان!!

أهل الخيام بكينا عن تشرّدكم ... واليوم يبكيكم من فيه إيمان

جوع، وقتل، وتشريد وجائحة ... مثل النهار ظلام الليل نيران

اقرأ على السلم والإسلام «فاتحة» ... شرق اليهود وعرب فيه خلان[1]

يلاحظ أيضًا استلهام المعاني الإسلامية في القصيدة، وذلك من خلال جمل كثيرة يمكن التقاطها بسهولة، وللشاعر عدد من القصائد الأخرى التي تتحدث عن مأساة لبنان وأختها الكبرى فلسطين، وهما - بلا شك - أهم القضايا العربية، بل الإنسانية جمعاء في عصرنا الحالي، ولكن من يعي تلك الحقيقة!!

* * *

(١) المصدر نفسه.

obeikandl.com

السودان

تألم السودانيون لإخوانهم الفلسطينيين واللبنانيين، وذرفوا الدموع لأطفال صبرا وشاتيلا، وقانا وبيروت، ومن هؤلاء الشاعر الكبير محمد الفيتوري، الذي كتب لبيروت الجريحة، نقل المأساة عبر أشعاره، وبيَّن عمق الجريمة بصورة دقيقة تدل على تتبع الشاعر للأحداث التاريخية، ورصدها بدقة، كتب قصيدة بعنوان «أخي الغالي» يوضح فيها الموت المنتشر في بيروت.. الجرح النازف في جسد الأمة، وأشلائها المتناثرة، يقول الفيتوري:

أخي الغالي، كتبت إليك مزهوًا «أخي الغالي»،

«تحياتي وأشواقي»،

تطير إليك من بيروت،

إليك هناك، حيث تموت.

فدى الباقي من التافه من ميراثك الباقي

تحياتي وأشواقي

أنا أصبحت إنسانًا جديدًا، غير ما تعهد

ختمت دراستي العليا، ونلت شهادة المعهد

وأصبح مكتبي أكبر.

وصار اسمي هنا أشهر!

ولي صاحبة شقراء، جدتها فرنسيه

وأخرى جدها قاد الفتوحات الصليبيه

ومثل بقية الأسياد

obeikandl.com

تريض في فناء الدار، فارهة خصوصيه

أخي الغالي

لماذا أنت لا تأتي إلى بيروت

وتترك جرحك الممقوت[1]

يتابع محمد الفيتوري أبياته مؤكداً على نمو الجرح وكبر المأساة بوعي للموقف والموقع ومعرفة بقضايا مجتمعه الاجتماعية، مؤكداً على مدينة بيروت التي قرنها بالموت والفزع، يقول..

أخي الغالي

إليك هناك في بيروت

إليك هناك حيث تموت

كزنبقة بلا جذور

كنهر ضيّع المنبع

كأغنية بلا مطلع

كعاصفة بلا عمر

إليك هناك يا جرحي وعاري

ويا ساكب ماء الوجه في ناري

إليك إليك من قلبي المقاوم جائعًا عاري

تحياتي وأشواقي، ولعنة بيتك الباقي!

وللفيتوري قصيدة أخرى بعنوان «معزوفة لدرويش متجول» يختلط فيها البعد الاجتماعي بالحس الصوفي، يقول فيها:

حريق في الزمن الضائع

---

(١) نقلاً عن: عبد الرحمن ياغي، أبعاد العملية الأدبية - رابطة الكتاب الأردنيين - عمان ١٩٧٩م، ص ١٠، وكذا مأساة بيروت، ص ٦١١.

قنديل زيتي مبهوت

في أقصى بيت، في بيروت

أتألق حينًا، ثم أرتق، ثم أموت[1]

وللفيتوري أيضًا قصيدة «إلى الأخطل الصغير»، يصور الشاعر حال الأمة العربية، وتفككها، وانقسامها، لائمًا الحكام العرب على ما يفعلونه بشعوبهم، يقول فيها:

كلما امتدت على الأفق انقسام

وحزيران على أبوابها

لعنة تغلي، وعار، واتهام

بمثروها .. مزقوا وحدتها

فهي سودان، ومصر، وشآم

ونسوا أن النواقيس غدا

تتنادى، والموازين تُقام

ونسوا أن الضحايا أبدًا

نارها فوق الملايين ضرام[2]

وكذلك كان للفيتوري قصيدة عن لبنان تحت عنوان «قرامة في عيون يغسلها الدمع»[3].

أما الشاعر عزيز التوم منصور، فيصور لبنان وقد لفّها اليأس والأسى وتسربلت بالأحزان وتخضبت بالبكاء، فيقول:

زفَّ ليل الأسى لك الأحزانا .. ناسجًا من خيوطها الأكفانا

وتسربلت بالدماء جروحًا .. نائحات تماتب الرحمانا

---

(١) محمد الفيتوري: الأعمال الشعرية الكاملة، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ١٩٩٨م، ٢/٣٣٧.

(٢) المصدر نفسه: ٢/ ٨٣.

(٣) المصدر نفسه: ٢/ ١٢٥.

هنت يومًا فلم تزل بيد الهون، وبدلت بالهوان الهوانا

مات في كفك الأمان وفي يأسك أطلقت للدموع العنانا[1]

كان من الأليق ألا يخاطب الشاعر الرحمن بقوله: «ناثحات تعاتب الرحمانا» فهل الرحمن سبحانه وتعالى يُعاتب!!

ثم ينطلق الشاعر عزيز التوم لائمًا الأمة العربية ورجالاتها الذين لم يلبوا نداء الجهاد، ثم راح يصور ساحة المعركة وما فيها من أهوال جثام، فيقول:

وتطلعت للرجال فألفيت ذليلاً مستخذيًا وجبانا

لم يلب النداء منهم «صلاح الدين» أو يكبح السنان السنانا

والعدو المغير يحصد «بيروت» لهيبًا مسعرًا ودخانا

ربَّ طفل في المهد هدهده الموت، فأغفى إغفاءة واستكانا

ربَّ أنثى ضعيفة مزقتها صرخة مرهق صداها المكانا

ربَّ بيت لله قد هدّه الظلم تهاوى ليلعن الإنسانا

والمأساة لم تكن مأساة الإسلام وحده، إنما يقبع في خندق الاستسلام الإخوة النصارى فمصابنا واحد، والجرح العميق، الأمر الذي جعل الشاعر يقول:

وهلال منكّس وصليب في يد الظالمين ذل وهانا

ويستعرض الشاعر في القصيدة لمحات من التاريخ ويسقطها على ما يحدث في لبنان فمن التاريخ نستهدي العبر، وأخيرًا يوضح الشاعر أن تفرُّق العرب كان سببًا في نكستهم الحالية، وقد تتسبب في كثير من المصائب المستقبلية، فيقول:

ودرجنا على التنابذ بالألفاظ حينًا وبالقوى أحيانا

وذهبنا مع التفرُّق حتى عزَّ في ساعة الأسى ملتقانا

والعدو الأثيم يفرق في البطش ويصلى بناره «لبنانا»

☆ ☆ ☆

(١) فتح الرحمن حسن التني، مختارات من الشعر السوداني المعاصر، المطبعة العصرية - دبي، ١٩٩٠م، ص ٢٨٤.

الجماهيرية الليبية

لم يكن الأخوة الأشقاء في ليبيا بمعزل عن لبنان الجريح، ولذا نرى الليبيين يسطّرون بأشعارهم وحواسهم صفحة النضال اللبناني، دفاعًا عن الأمة العربية.

وقد سجل تاريخ نضالنا المعاصر لسناء محيدلي ما اتصفت به من معاني البطولة النادرة، وقد تحقق لها ذلك لأنها عاشت حياة غير حياتنا، فإننا نلهو أحيانًا لنريح أنفسنا من عناء التعب والتصب، ولكن سناء ترفض اللهو مهما كان لونه، فهي مشغولة بكل ما يتعلق بقضية وطنها، وإن لبسنا ثيابنا الفاخرة، فلا يعنيها ذلك اللباس إلا ما يسترها في قيافة عسكرية تؤدي بها واجباتها القتالية.

الأمر الذي جعل عز الدين الحسناوي يكتب قصيدة تحت عنوان «قصيدة غزل في سناء محيدلي»، وعلي الرغم من عنوان القصيدة التي يوحي بالغزل، وغرام الشاعر بها وافتتانه، فإن القصيدة تفاير هذا المعنى حرفيًا، فدلالة القصيدة توحي بغزل الأفعال، لا غزل العيون والأقوال، يستهل الشاعر قصيدته بالحال اللبناني العابس، والليل الحالك الذي يخيم على البلاد، ويد القهر الآثمة، وكاسات المرارة التي يرتشفها الأعارب، فيقول:

كم طوى الليل بين جناحيه..

من أنفس عابسه

حملت حزنها في شقاوتها البائسه

جرعتها يد القهر كأس المراره

حتى الثمالة...

فانتفضت في تمرد

تحمل الممر قافله..

في مناخي التشرد

ثم يقول في قصيدته:

وقفة ترضى الانحناء لفرد تألّه

يا لهذا التولّه

بالوقوف شموخًا أمام الطواطم

حين تتال تمام المباده

حين تقضي تلك الجراده

فتحيل الحياة جفافًا لتبق السيادة[1]

وهكذا يستمر عز الدين الحسناوي في مغازلته لسناء محيدلي، تلك الفتاة الصغيرة التي رفضت الذل والمهانة وأبت إلا أن ترفع شعار السيادة.

أما الشاعر لطفي عبد اللطيف فيوجه رسالة إلى الشاعر بشارة الخوري يبثه فيها لواعجة الحارقة متأسفًا على الحال اللبناني، واصفًا أحداثها الدامية، فيقول:

شجر الأرز سيطرح علقم

فاللوزات طرحن العندم

والزيتون به الحبُّ الدم[2]

الشاعر يصور المأساة التي حلّت بالحياة اللبنانية عامة، من رجال ونساء وأطفال وأشجار وتلال، وسهول وهضاب، وعلى الرغم من ذلك، فإننا لم نسمع من يدين هذه الاعتداءات، حتى ولو بالقول، فيقول:

شجر الأرز

جبل الدرز

وتل الهدم، وتل الردم

---

(١) عز الدين الحسناوي، مجلة الفصول الأربعة – طرابلس، العدد ٣٨، شهر كانون ١٩٨٧م، ص ٣٢٣.

(٢) لطفي عبد اللطيف، قليل من التعري، الدار الجماهيرية للنشر – طرابلس – ليبيا، ١٩٩٩م، ص١٤٧.

ولحم أشلاء تتكلم

في نشرات تخشى قول:

البادي أظلم...

في نشرات..

تقتل عيسى، تجلد مريم

.....

في نشرات رقص الباطل فيها

عريانًا ومُلَفَّمْ

صفَّق قحطان مع جرهم

فافهم، تفنم..

كل سلاح العالم أبكم

ثم يصور الشاعر لحظة من لحظات القتال المتكررة، ويجسِّد المأساة أثناء الضرب، فيقول:

أم ترضع طفلاً يحلم

حضن فيه الدمية ترفض أن تستسلم

ضُرب الحضن، تنحَّى من جسم متفحِّم

ضاعت في الأرض الأشلاء

فاي ضمير

فيه شظايانا تتجسَّم؟!!!

أما الشاعر عبد المولى البغدادي فينظر إلى جراح لبنان النازفة، فإذا النزيف يدوم لسنوات، فاغتال الجبل والبحر والحجر، ولم يكن في تلك المعركة منتصر أو منهزم، فالقاتل والمقتول إخوان، وتلك مأساة مريرة، لذا كانت قصيدته صرخة تحاول أن تهز الضمير العربي، هي قصيدة باسم مواطن عربي يعلن منذ البداية أنه يحمل الوزر في

obeikandi.com

هدم لبنان، فيقول في قصيدته «جراحات لبنان»:

صرح لبنان قد تهدم باسمي ... لا تدينوا بهدمه أي خصم
أنا حطمته ولم أك أدري ... أن أنقاضه دمائي ولحمي
سكنت ثورتي ومات شعوري ... وانتهت قصتي نهاية شؤم
جرح لبنان قد أصاب كياني ... فهو في قلبي المضرَّج يُدمى
فأنا الخصم والمدافع عنها ... وكلا الجانبين أهلي وقومي

لقد فجَّرت الحرب في لبنان كوامن البغدادي (المواطن المربي) المغلوب على أمره، المغمى من قبل أرباب الرياسة، والسياسة، ولذا نراه يقول على لسان المواطن العربي البسيط، موجهًا خطابه لأطفال الصمود والتحدي في لبنان.

كنتُ لولا طبول حربك وهما ... ركبُوا في خياله ألف وهم
كنتُ حلمًا محلِّقًا في سراب ... يتهادى بخاطري كل يوم
كنتُ لا شيء غير حارس قصر ... يخدم السيد العظيم بحزم
كنتُ لا شيء غير عبد حقير ... أخرس مثل سيفه وأصم
كنتُ أحمي جناب من كان ظني ... أنه جاء كي يذود ويحمي

ومحنة لبنان ومأساته، وحربه وويلاته أثارت عبد المولى البغدادي، فراح يلعن أولى الأمر، ساخطًا عليهم أفعالهم، لائمًا عليهم سكوتهم وصمتهم المريب، فيقول:

كان لولاك ما تضاءل عرش ... واستحال الزعيم كتلة زعم
الزعامات يا لها من غباءٍ ... إنها كالدُّمى بلحم وشحم
كشفتها استفاقة منك عجلى ... فإذا الكل بين صُمٍّ وبُكم
توِّجي ساسة العروبة عارًا ... والعنى من مُراتهم كل شهم
فجِّري حقدنا الدفين عليهم ... حمما تصرع الطغاة بحسم
إنه حقد ألف عامٍ تولَّت ... لم أجد من ولائهم غير ظلم
زلزلي الأرض تحتهم واقصفيهم ... وانزعي من صدورهم كل حلم

(١) عبد المولى البغدادي: على جناح نورس - طرابلس، ط١، ١٩٩٩م، ص ٨٥.

أعلتي ثورة الشعوب عليهم ليلاقي مصيره كل قزم
ليس فيهم من الطواغيت طاغ لم يصب قلبك الجريح بسهم
سقط البرقع المزيف عنهم فبدا القبح سافرًا دون كتم

ويستمر عبد المولى البغدادي يبث شكواه الدفينة، ويصب جام غضبه على أولئك الكروش الممتلئة، القابعة على العروش العربية دون خجل، ولكنه في الوقت نفسه يلوم تلك الشعوب الخانعة والقابعة في استكانة ذليلة مهينة راضية بالأمر، فيقول:

محنتي أنني وكلت إليهم أمر حريتي وتدبير حكمي
فاحتواني من المهانة سُخط جال في خاطري وسابق فهمي

ثم ينهي هذه القصيدة الطويلة بقوله:

فهلمّي لبنان نشعل نارًا تحرق الظلم في حمانا هلمّي

أما الشاعر حسن السوسي، فيصور الخلافات اللبنانية، والحروب الأهلية، وتناحر الأحزاب فيقول مسميًا بأسماء أبطال مسرح الجريمة:

ومن «لحد» إلى «جمجع»
ومن مستقعٍ عفن لمستقع
تطلُّ جنادب وتغوص في أوحاله ضفدع
فمن متخاذل لكع
إلى متلكئ ألكع
ومن مستسلمٍ خنعٍ
إلى مستسلم أخنع

وبعدما صور الشاعر المجتمع اللبناني، والخضوع العربي الذليل، نراه يقول مخاطبًا أهل الجنوب الأبطال:

ستبقى أنت لم تخنع
ولم ترهب، ولم تسجد، ولم تركع

وتبقى أنت

لم تركن، ولم تخضع، ولم تُخدع

وتبقى أنت

كالقدر المطل عليهمو تطلع

تقضُّ عليهمُ المضجع[1]

أما الشاعر راشد الزبير، فيصور لنا حال اليهود ومكرهم، لائمًا من يصدّقهم من العرب، فالتاريخ يؤكد أنهم لا أمان لهم ولا عهد ولا ذمة، ثم يذكرنا بالمآسي والمحن الصهيونية في القدس، وصبرا، وقانا، والخليل، وغيرهما من المدن، ولكننا دائمًا ننسى أو نتناسى إذا شئنا الدقة، يقول الزبير في قصيدته «بيروت»:

وكنا نردّد في سررنا	دعاء، وكنا نكيل السباب
ولكن أصواتنا لم تصل	إلى أي ساح ولا أي باب
لأن الحناجر مملوءة	بقيء توالد فيه النباب
فلا صبَّح الله بالخير وجهًا	يصدق أن هناك انسحاب
وأن اليهود سيوفون عهدًا	ولن يلجؤوا بعد للاغتصاب
ففي القدس جرحًا، وجرح الخليل	ينادي الرجال، وما من جواب
ومن قبل صبرا، وها هي قانا	مآسي تكرّ، وتنمى الحساب![2]

ولراشد الزبير قصيدة ثانية تصور المآساة اللبنانية بعنوان «نشرة الأخبار»، يقول فيها:

مللنا نشرة الأخبار، والأخبار ملتنا

وصار الصبح ينعانا لليل فيه قد متنا

وصرنا في فم الأحداث ملهاة، فعافتها

---

(١) حسن السوسي: ديوان الجسور، الدار الجماهيرية – ليبيا – ١٩٩٨م، ص ١٨٥.

(٢) راشد الزبير، «همس الشفاه» الدار الجماهيرية – طرابلس، ط١، ١٩٩٩م، ص ٣٧.

وفي استجدائنا الأبواب لم تأبه وصدّتنا[1]

ثم يتوجه بحديثه للحكام العرب، ومن بيديهم مقاليد الأمور، فيقول:

مللناكم طواغيتا.. ملكناكم
وما عدنا نصدقكم.. نبذناكم
فكم خدرتمو إحساس قتلاكم
فويل حينما يصحو ضحاياكم

وللشاعر عيسى الباروني قصيدة «الهاربة»، وقد صدرها بقوله: «إلى تلك الفتاة اللبنانية التي قابلتها في إحدى أمسيات خريف ١٩٧٥م بفندق الشموع في دمشق.. هاربة بحياتها من جحيم الحرب الأهلية الدامية»، يقول فيها مصورًا المأساة:

يا فتنة من فتنة ... في فتنة تبغي مقر
أختاه بنت الأرز بل ... بنت النوائب والخطر
أين المفر من الحمى؟ ... أين المفر من القدر؟
يا من هربت من السعير ... ر وقد تطاول وانتشر
وظننت - واأسفي - نجو ... ت.. لقد أتيت إلى سقر
قادتك مسرعة خطاك ... فحصرت في الخطب الأمر
ولجأت في وادي الذئا ... ب إلى مغارات النمر
كالمستجير من الهجير ... ر أمضه ظمأ وحر[2]

الشاعر يقصد أنها - الفتاة - وإن ظنت أنها هربت من جحيم الحرب الأهلية بلبنان، فإنها هربت لنار طغيان أشد تعاني منه أمتنا من خليجها لمحيطها، ممثلاً ببطش حكامنا وقهرهم لنا، وهي بذلك كالمستجير من الرمضاء بالنار - كما قال الشاعر القديم:

المستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

وللشاعر قصيدة أخرى بعنوان «حريق لبنان» بالديوان نفسه، يقول في مطلعها:

---

(١) راشد الزبير، «نشرة الأخبار»، الدار الجماهيرية - طرابلس، ط١، ١٩٩٨م، ص ١١.

(٢) عيسى الباروني، «خلجات إنسان»، الدار الجماهيرية - طرابلس، ط١، ١٩٨٠م، ص ١٨٧.

ما للعروبة ما لها قد زلزلت زلزالها

أترى أخي ماذا جرى أم لا ترى أعمالها[1]

أما الشاعر محمد بشير السوكني فيصور الخلافات اللبنانية، بين الأحزاب المختلفة، فيقول في قصيدته «متى بيروت تبتسم؟» يقول:

لمن بيروت تبتسم؟

لمن بيروت بعد الآن تبتسم؟

وكل الشعب منقسم!!

متى بيروت تبتسم؟

وإسرائيل تذكي النار..

والنيران تضطرم.. وتضطرم.. وتلتهم!!

وإسرائيل تفتتم.. وتفتتم

فمن بالله يا صبرا.. وشاتيلا.. سينتقم؟!

وفوق سفارتي قد نكّس العلم

وها قد سيطر الألم[2]

أما الشاعر محمد عمر بعيو، فيلقي التهم واللوم على العرب - جميعهم - حكامًا ومحكومين، فالشعوب العربية، لا تركن للمآسي، ولا تعبأ بالمحن، وكأن شيئًا لم يكن، فيقول في قصيدته «قانا»:

انحروا الأضاحي يا عرب

أنتم الضحايا يا عرب

واقرأوا التاريخ والأصول والمتون

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٢٧.

(٢) محمد بشير السوكني، «تنفس في الهواء الطلق»، الدار الجماهيرية - طرابلس، ط١، ١٩٨٦م، ص ٤١.

obeikandl.com

والحواشي والأدب

وتلهّو بالأساطير القديمة

حيث تختلط الحقيقة بالكذب[1]

وللشاعر قصيدة أخرى بعنوان «جنوب» بالديوان نفسه يصور فيها بطولات الجنوب اللبناني الصامد.

هكذا عبر الشعر الليبي عن حقيقة المأساة اللبنانية، وموقف الشعوب العربية منها، وكذا موقف الحكام المتخاذل إزاء هذه الأحداث.

وقد جمع الدكتور عبد الله سالم مليطان عددًا كبيرًا من تلك القصائد التي تحكي المحنة وتصور تلك النكبة في كتابه المهم «متى بيروت تبتسم»[2]، وقد أورد أشعارًا لكثيرين ممن صوروا المأساة وفداحتها نذكر منهم: إدريس بن الطيب في قصيدة «لوحة بالألوان اللبنانية»، وكذلك قصيدة «مقاطع من النشيد الفلسطيني»، والشاعر امراجع المنصوري وقصيدته «لبيروت واحتمالات أخيرة»، والشاعر بشير العتري وقصيدته «عصافير بيروت»، والشاعر بشير هروس، وقصيدته «لبنان»، وكذلك الشاعر جمعة عتيقة، وقصيدته «بيروت»، وكذلك الشاعر حسن غالب المغربي، وقصيدته «بمناسبة ثورة لبنان»، كما جمع أشعار كل من خالد زغبية، ودلال عبد الصمد، وصبرية المويتي، وعبد الحميد الهرامة، وعبد الرحمن الجعيدي، وعبد الله الأصفر، وعبد المجيد القمودي، وعلي الخرم، وعمر الحاجي، وفوزية شلابي، والكيلاني عون، ومحمد مصطفى بلحاج، ومحمد مسعود جبران.

* * *

(١) محمد عمر بعيو، «أول الغيث قصيدة»، شركة المختار، ط١، ٢٠٠١م، ص ٥٩.

(٢) عبد الله سالم مليطان: متى بيروت تبتسم، دار مداد للطباعة – طرابلس، ط١، ٢٠٠٧م.

جمهورية مصر العربية

لم يقف الشعراء المصريون – على اختلاف اتجاهاتهم الفنية والفكرية – مكتوفي الأيدي أو مكممي الأفواه تجاه المأساة اللبنانية وأحداثها الدامية، فهبوا يصدحون بأشعارهم وأغانيهم، علهم يجدون آذانًا صاغية، تنقذ لبنان الجريح أو تضمد جراحه النازفة، من هؤلاء الشعراء، الشاعر الكبير فاروق جويدة، الذي تألم لتلك المأساة فكتب عنها الكثير، من تلك القصائد، قصيدته «يا زمان الحزن في بيروت»، وهو يذكرنا بقول ابن الخطيب «يا زمان الوصل بالأندلس» الموشح المعروف والمشهور، والشاعر يعقد المفارقة بين حالنا الآن – حيث الضعف والخذلان –، وبين حال المسلمين في الأندلس أثناء حكم الطوائف، وهو أيضًا حال يدعو للأسى والرثاء، يقول الشاعر في قصيدته:

برغم الصمت.. والأنقاض يا بيروت

ما زلنا نناجيك

برغم الخوف.. والسجان.. والقضبان

ما زلنا نناديك

برغم القهر.. والطغيان.. يا بيروت

ما زالت أغانيك

وكل قصائد الأحزان يا بيروت

لا تكفي لنبكيك[1]

يلاحظ على المقطع سيطرة ألفاظ الفزع، من قهر، وخوف، وصمت، وأنقاض، وأحزان وطغيان وسجان... فالمقطع يمثل كتلة خوف وقهر صدح بها الشاعر.

---

(١) فاروق جويدة، ديوان: شيء سيبقى بيننا، وهي بالأعمال الكاملة ٢/ ١٣٣.

والشاعر – كما ذكرت – يعقد مقارنة بين حالنا – الآن – وحال الأندلس، آية ذلك دلالة العنوان وتركيبة ألفاظه التناصية، وكذلك قوله في القصيدة نفسها:

ويا بيروت

يا نهرًا من الأشواق

عاش العمر يروينا

ويا جرحًا سيبقى العمر.. كل العمر..

يؤلمنا.. ويشقينا

ويا «غرناطة» القيحاء

هل ضلّت مساجدنا

وهل كفرت لياليناً؟

زمان اليأس كبّلنا

وكسّر حلمنا.. فينا

غدوت – الآن – يا بيروت بركانا

كبئر النار يحرقنا

ويسري في مآقينا!!

ويرصد الشاعر بعضًا من المآسي والمحن، لائمًا الشعب العربي المتخاذل، لائمًا الحاكم العربي المهزوم بالصمت والخذلان. وللشاعر قصيدة أخرى بعنوان «بعض العشق.. يكون الموت»، وقد أهداها فاروق جويدة إلى «سناء محيدلي شهيدة الجنوب اللبناني» حاول فيها أن يرسم مشاعر تلك الفتاة، حاول أن يتسلل إلى أعماقها، وينقل أحاسيسها، فيقول:

كانت تعلم..

أن الموت ضريبة عشق للأوطان

أن الحب سيصبح يومًا أجمل وشمٍ للأكفان

obeikandl.com

أن الموت سيصبح عرسًا..

يُنسينا كل الأحزان

من هذا الطين بدأنا الرحلة

سوف نعود لنفس الطين

ليطوينا.. صمت النسيان[1]

ويظل جويدة محاولاً التسلل داخل الفتاة ناقلاً أحاسيسها المترعة، وأنفاسها الحارة، وفكرها المتقد، وكيف سحبت من عوراتنا ثياب الصمت، فبدت سوءاتنا. ثم نراه يقول:

سنموت جميعًا تطوينا

أيدي الأقدار

ونصير بقايا من أخبار

أو نفدو سرًا

تختار الحب.. الأرض

الوطن.. الأهل

ولكن عمرك لا تختار

لحظة موتك لن تختار

لكن «سناء» اختارت كيف تموت

لتبكيها كل الأشجار..

وللشاعر قصيدة أخرى بعنوان «متى يفيق النائمون»، والقصيدة تحكي مأساة الإنسان العربي النائم دائمًا، بينما الآخرون يقظى عيونهم، يفكرون ويخططون، ولكننا نغط في نوم عميق، لن نفيق منه حتى وإن توالت الكوارث والمحن، يقول فيها:

شهداؤنا في كل شبر يصرخون

---

(١) فاروق جويدة، ديوان: لن أبيع العمر، وهي بالأعمال الكاملة ، دار الشروق – القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٢/٢٢٣.

بيروت تسبح في الدماء

وفوقها الطاغوت يهدر في جنون

بيروت تسألكم أليس لعرضها

حق عليكم؟ أين ثرّ الرافضون؟!

وأين غاب الباتعون؟!

وأين راح الهاربون

الصامتون.. القافلون.. الكاذبون؟!

صمتوا جميعًا..

والرصاص الآن يخترق العيون[1]

وللشاعر الكثير من القصائد ترصد أبعاد المأساة وترسم صورًا حيَّة من داخل المواقع اللبنانية نذكر منها قصيدة «رسالة إلى صلاح الدين»، و«سافر فارس العشق»، وهي مهداة إلى الشاعر الكبير نزار قباني... وغيرها.

أما الشاعر الورداني ناصف في قصيدته «رسالة من السماء»، وقد كتبها الشاعر على لسان عروس الجنوب اللبناني «سناء محيدلي»، فيقول فيها:

أمـــاه.. تلك رســـالتي بـبـيـــاني ... تأتي إليك ومـــا بهـــا عنواني

أرسلتـهـــا يا أم بعـد تغـيـبي ... عن الصـــدر العطوف الحـــاني

فلقـد عـهـدتك تفـزعين لغـيـبتي ... وتهـــرولين إذا نـأى إخـــواني

أمـــاه.. إني قـد تركـتك والأسى ... والحـزن في جنبي يعـتـصـراني

ينتـــابني همٌّ ثقـــيل مـــائل ... قـهـر المنى والحب في وجـداني

فـحـملت عـمري فوق كفي لم أهب ... مـوتًا.. ولم أرهب وعـيـد الجـاني

أمـــاه.. لما تقـــرأين رســـالتي ... فترفقي بي.. واغفري عصياني

لا تحـــــزني يا أم أنت، ولا أبي ... فـأنا بقرب الله فاحـتـسـباني[2]

(١) فاروق جويدة، لو أننا لم نفترق، ص٢٧.

(٢) الورداني ناصف: همسات الورد، ص ٢٩.

ويقدم الشاعر صورًا رائعة تفيض حيوية، وذلك لما التقط من صور للحياة اليومية التي نعيشها كذكرة – مثلاً – حوار دار بين سناء وأمها، وهي تمشط شعرها، وراحت الأم تحلم بيوم زفاف ابنتها، ولكن سناء اليوم تعتذر لأمها بأنها لم تساعدها بتحقيق هذا اليوم الذي تتمناه منذ زمن طويل.

أما الشاعر حسن فتح الباب في قصيدته «عروس الجنوب» فيرى من سناء محيدلي بطلة فرَّقت أشلاءها كي توحد العرب، عرفنا بطهرها عار المتخاذلين، وصمت الصامتين، عرفتنا بجهرها صمتنا المريب، فيقول:

من ذا سوَّاك يا سناء يا
حورية الجنوب يا
حورية الدم المراق في حدائق الحياه
يجمِّع الأشلاء
لتستحيل عربا؟
يفرِّق الأشلاء
لتستطير لهبا؟
من علَّم الأسماء
غيرك يا سماء
من يا ترى غيرك يا سناء
يعرفنا
بطهره، وعارنا
يحبنا
بفرحه، وحزننا
يقهره
بجهره، وصمتنا[1]

(١) حسن فتح الباب، مخطوطة لدي.

ولشاعرنا قصيدة فريدة بعنوان «قانا .. رسالة جندي إسرائيلي إلى الحاخام الذي أفتى بقتل النساء والأطفال العرب»، وهي جديدة فكرة لم أجدها في القصائد الأخرى، من المحيط إلى الخليج، ماذا يقول الجندي الإسرائيلي لحاخامه المفتي، هذا الجندي يبشّر هذا المفتي الذي اغتال الكثير بفتواه، فيقول:

بشرى يا مولانا الحاخام

قد صدقنا الرؤيا

وقهرناهم بالفتوى

ثأرنا ليهوذا

من أبناء فلسطين ولبنان

وضحايانا في يوم الغفران

باسم الشيطان

مزقناهم أشلاءً أشلاء

لم يبق سوى أحشاء

تتناثر في (قانا) تحت التل[1]

لاحظ أن البشرى كانت بالقهر والقتل!! ويلاحظ أن الفتوى هي مصدر الاطمئنان النفسي أصبحت هنا مصدر القهر – على غير العادة –، وأن تمزيق الأبرياء كان باسم الشيطان، ولم يكتف الإسرائيليون بالقتل، بل تعدى للتمثيل بالجثث، آية ذلك قوله: «مزقناهم أشلاء أشلاء، لم يبق سوى أشلاء»، وتمضي القصيدة على هذا النمط الإيقاعي والدلالي إلى آخرها..

وللشاعر قصائد أخرى تحكي مأساة لبنان وتصور فجائعها، صارخة في وجه العالم الذي يكيل بمكيالين، وما زال، نذكر من تلك القصائد، «قانا»، و«فوق العاصفة»، «إلى سورية والجنوب اللبناني الصامدين».... وغيرها.

---

(١) حسن فتح الباب، شجرة ورد خلف الشط الآخر، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٧٥.

obeikandl.com

ومذابح لبنان المتكررة ولّدت عند العربي نوعًا من التبرم والغضب على كل شيء، فلا يرى في الوجود شيئًا جميلاً، وهو ما دعا الشاعر عبد العليم عيسى في قصيدته «بعد المذبحة.. في لبنان»، يتساءل لمن الانتماء، وما معنى الاحتماء، فكل ما تربينا عليه من قيم نبيلة وفضائل عظيمة ذهبت أدراج الرياح، وما هي إلا مزاعم وأوهام مضللة، ولذا نراه يقول:

لأي شيء أنتمي؟

بأي معنى أحتمي؟

تقطعت بيني، وبين كل شيء

علاقتي الحميمه

وصرت مبتوتًا بلا جذور

تفجّر الحياة في كيانيَ المقهور

لأي شيء أنتمي؟

فكل ما انتميت له

مزاعم مضلّله

وكل تاريخي الذي وعيته

وعشته

وصرت أتلوه على مسامعي

كأنه ترنيمة المرنّمِ

هوى.. بلا أسى ولا تندم!!

لأي شيء أنتمي؟!![1]

وللشاعر قصيدة أخرى بالديوان نفسه بعنوان «صفحة من سفر العرب الحديث»، يقول في مطلعها:

---

١) عبد العليم عيسى، للحياة أغني، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، ١٩٩٠م، ص ١٩.

أحاطت بنا الأهوال من كل جانب ... وحاصرنا ليل ثقيل الغياهب
ومازحت الدنيا فكنا مزاحها ... وألعوبة يلهو بها كل لاعب
وأنشب فينا كل علج سهامه ... وقد كان في تاريخه غير ناشب
ونحن قعود لا تهمُّ لغاية ... ونحن اكتفينا بالدموع السواكب..[1]

أما الشاعر حسن توفيق فيصف حال المحاصرين الجائعين الذين طالبوا باستصدار فتوى تبيح لهم أكل لحوم الموتى، يصف الشاعر حالهم، مخيماتهم، أحاسيسهم، ويعرِّج على حال الوطن العربي لا سيما الحكام الجالسون على الأرائك في انتشاء ويتقابلون في القمم العربية ويتصافحون، ولكنه تصافح الثعالب، فيقول في قصيدته «مرثية الزمن العربي»:

يا أيها الزمن المؤهل للسقوط.. بلا دوى
جئناك بالنبأ اليقين
من أرض لبنان الطعين
حيث القلوب يشقها لفح الهواء الطائفي
والحقد ميراث دفين
يسقيه من عبثوا لمرتزق تفنَّن في التمسح بالكيان العنصري
يا أيها الزمن المؤهل للسقوط بأمةٍ غرقت صحائفها المجيده
جئناك بالنبأ اليقين، وما عليك سوى الترقب للمتاهات الجديده
منعوا الطعام عن الذين تشرَّدوا من أرضهم فاستقبلتهم أضرحه
وتلقَّفتهم خيمة القهر المخلخلة البناء
وتساندوا متحملين خطا الشتاء ففوجئوا بهطول أعتى الأسلحه
... ماذا يقول المتخمون الجالسون على الأرائك في انتشاء وارتخاء؟

---

(١) المصدر نفسه: ص ٣٨.

فليأكلوا أجساد موتاهم، لكي يبقوا على قيد الحياة محاصرين

ما دام في أهل الصهاينة انتشار كالوباء

والمسلمون.. مطامع، وتوابع، وشقاق

فإذا تلاقوا – مرة – وتصافحوا عند اللقاء

فالأرض تعرف جيدًا أن اللقاء.. نفاق[1]

وللشاعر عدد من القصائد تصور المأساة، نذكر منها، «بطاقة من متفرج عربي لسناء»، «لبنان – الجحيم»، و«لبنان والدماء.. وفيروز».... وغيرها.

أما إبراهيم عيسى فيعزف على نفس الوتر الذي عزف عليه حسن توفيق، فيقول لائمًا أرباب الأمور، ومن بيدهم مقاليدها، يقول في قصيدته «الموت يجتاح المدينة»، والتي صدّرها بقوله: «إن الدماء التي جرت في لبنان. من إبريل ٧٥ إلى يناير ٨٧ ستبقى دنويًا على جبين التاريخ»، يقول إبراهيم عيسى:

ضمُّوا الصغار فقد دجى ليل تلفَّع بالضفينه

والغصن حول الغصن يكتم في حناياه أنينه

وجرت دماء المتعبين على بقايا ياسمينه

وأكاد أسمع من شفاه الأرز تمتمة حزينه

والموت جبار تمرَّد.. والأخوة مستكينه

تستنكر الدم.. ثم تمضي عن أمانينا الطعينه

فاحموا الصغار من الردى.. فالموت يجتاح المدينه[2]

أما عبد الله السيد شرف فيتخذ من المأساة الشخصية لنزار قباني وفجيعته في زوجه بلقيس مدخلاً للهم القومي والمأساة العربية الكبرى، فراح الشاعر يخاطب نزارًا، محددًا ماهية الشرق، مسترجعًا تاريخه الطويل، حيث النكبات والهزائم، من كربلاء إلى الأندلس، وكأن تاريخنا العربي سجلاً حافلاً بالمآسي والمحن، فيقول مخاطبًا الزوج

(١) حسن توفيق، الأعمال الكاملة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣م، ص ١٤٣.

(٢) إبراهيم عيسى، الأعمال الكاملة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، ص ٨٦٨.

المفجوع في زوجته نزار قباني:

يا نزار لمن نقول..

والشرق مزمار

وراقصة

وأصنام تبول

فلمن نقول، ونحن مشدوخون

مشدوخون

من أقصى المحيط الأندلسي

حتى الخليج الكربلاء

ولمن نقول..

ونحن محصورون..

محصورون..

بين القات، والأفيون

من لم يمت بالسيف

في هذا الوطن

سيموت تحت سنابك الإذلال..

هل أقصى من الإذلال موت

وانكسار[1]

وللشاعر قصيدة أخرى استلهم فيها مذبحة صبرا وشاتيلا، ممرِّجًا على الجراح العربية النازفة، والقصيدة تحت عنوان «ورقة من كتاب معجم البلدان».

أما الشاعر وحيد حامد الدهشان فله عدد كبير من القصائد تصور المآسي العربية،

(١) عبد الله شرف، سلسلة أدباء القرن العشرين عدد (٨) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨م، ط١، ص ٧٤.

obeikandl.com

والجراح الفلسطينية واللبنانية، فقد أوقف الشاعر عددًا من دواوينه لهاتين القضيتين المهمتين اللتين تؤرقان الأمة العربية من شرقها إلى غربها، وهو في كل قصائده يعرِّج على الحكام ومواقفهم المخزية، من ذلك – مثلاً – قصدته «المرجفون» يقول فيها:

لبنان جرحك جرحنا لبنان ... وكلام كل الخائنين مُدان
ملأ دمى الحكام حتى أصبحوا ... ودموعهم يزري بها البطلان
هانوا وأصبح من قصارى جهدهم ... عجز الرؤى والوهم والخذلان
لم يسمعوا يومًا بغدر صديقهم ... وكأنما قد صُمَّت الآذان
صمتوا طويلاً قبل أن يتحذلقوا ... حتى ظننا ما (لهن) لسان!!!
لبنان عرضك عرضنا لبنان ... والمرجفون حديثهم بهتان
يا شعبنا العربي لا تأبه بهم ... فهمو أمام عدوّنا خصيان!![1]

هذا وقد أرّقت حرب تموز ٢٠٠٦م الشعب العربي وأقضت مضجعه، ومنهم شاعرنا وحيد الدهشان، فانبرى في أكثر من قصيدة يصور ملحمة «حزب الله في لجنوب اللبناني، وهو يدافع بشراسة مستميتة عن عرضه ووطنه، في الوقت الذي وقفت فيه إسرائيل بسلاحها المدجج عاجزة عن التقدم في الأراضي اللبنانية، فراحت تهاجم المدنيين الأبرياء، وتهدم الجسور والمدارس، وفي ذلك يقول الشاعر في قصيدته «في انتظار الفجر»:

هتفت بي الذكرى فقلت خذيني ... من حاضري هذا الذي يضنيني
(...) يا أمتي بين المعامع قلبنا ... يصغى إلى أنشودة التكوين
وأرى تباشير الصباح على المدى ... أملاً يرفّ وصحوةً تحييني
في وجه أطفال الحجارة نورها ... وكتائب «القسّام عز الدين»
ورجال «حزب الله» من باعوا الدنا ... ربّانهم قال: «الجهاد سفيني»[2]

ولوحيد الدهشان قصيدة أخرى قريبة في معناها من السابقة، وهي قصيدة

(١) وحيد الدهشان، في انتظار الفجر، آفاق أدبية، العدد (٢٣)، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٢٤.
(٢) المصدر نفسه: ص ٥٧.

«اللؤلؤة»، يفتخر فيها بـ«حماس» الفلسطينية، وكتائب «عز الدين القسام»، وكذلك «حزب الله اللبناني»، يقول فيها:

«حـمـاس» أنت رمـز للمـعـالي	يحـقـر من يبـيع ومن توانا
وذكـرك ذكـر ياسين ورهط	من الإخـوان يخـشـاهم عـدانا
رجـال كـتـائب القـسـام منهم	حـمـاهم في ربا الأقصى حـمـانا
وإخـوانهم «بحـزب الله» فـخـر	أذلوا أنف من غـدروا بـقـانا
دمـاهم تبـعث الأرواح فـينا	ووا أسـفـاه تخـذلهم دمـانا![1]

من الأبيات السابقة يتضح الحس الإسلامي للشاعر، ومحافظته والتزامه بمنهج أدبي معين، وللشاعر أيضًا عدد آخر من القصائد التي تصور المأساة، نذكر منها: قصيدة «لا وقت للدمع»، و«هي وقفة لله»، و«المبعدون»... وغيرها.

أما الشاعر مصطفى بهجت بدوي، فيصف الحال على الساحة اللبنانية، ويرصد موقف الشعب العربي، والحكومات العربية، في الوقت الذي يعاني فيه أبطال المقاومة، فيقول في قصيدته «غزوا لبنان.. وفرغنا لهوانا»، يقول فيها:

نحن أصحاب القضية

غير أني أنحت القول، وها هم هؤلاء الصيد في الساحة خلّوا وحدهم!

قاوموا واستبسلوا واستشهدوا واستنجدوا، والحرب خاضوا..

وأفاضوا وحدهم!!

هل قصارى ما علينا دمع عين في فراشٍ آمنٍ ناءٍ يحيى جهدهم

وقلوب واجفات مشفقات

وآذان مرهفات

تحضن المذياع، يتلوها بأنباء المعارك!

هكذا بتنا نشارك!![2]

---

(١) وحيد الدهشان، نحن الشهادة عشقنا، كتاب الوعد السنوي (٣)، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١٥.

(٢) مصطفى بهجت بدوي، ضراعة من قلب عربي، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩١، ط١، ص ١٧.

وللشاعر قصيدة أخرى تحكي قصة المأساة تحت عنوان «ضراعة من قلب عربي».

أما محمد سليم الدسوقي فيتخذ من «قانا» صديقة له يبثها أشجانه وشكواه، يبثها أشواقه ومرتجاه، فيقول في قصيدته «قانا.. لها»:

فتلك الجميلة

وفوق الرباب وفوق السحاب

وفوق البيوت

يقولون ماتت

ولكن وهج السنا والمنى لا يموت

فكم هفهف الورد والسيسبان

وشطرت الشمس والحبهان

رهان السكوت

وأخرجت الأرض وهج القتامه

والمستهامة

.. والنوح والبوح

دنيا الخبوت

فماذا عن الصمت «قانا»

.. وماذا عن الورد والعهد

والبرتقال الذي صار يومًا دمانا؟[1]

ولمحمد سليم الدسوقي عدد كبير من القصائد التي تحكي المأساة بدقائقها وتفاصيلها، نذكر من تلك القصائد «كاترينا»، «يا محروسة بيتي الأزرق»، «كاتيا.. معنا بيروت»، «مدينة الشفوف والرباب»، «تفعل ماذا يا عصفور»، «هات.. هات البردة»، «صفيرتي المروعة»، «سبورتي ودثاري»، «يا للحب ويا للمار»، «رسالة إلى مقاوم»، «ماذا

(١) محمد سليم الدسوقي: يا خيل الله اركبي، ديوان مخطوط لدي.

obeikandi.com

كنت أغني»... إلخ، وهذه القصائد ضمنها ديوانه «يا خيل الله اركبي».

ومع الحرب الأخيرة ٢٠٠٦م انطلقت حناجر الشعراء تحيي «حزب الله»، باعتباره رمزًا للصمود العربي، ومدافعًا عن حق عربي مضاع، فهذه الشاعرة محبوبه هارون، تقول في قصيدتها «وفي الظلماء يفتقد الضياء»، تقول في مطلعها:

لحـــزب الله هللت الســـمـــاء فـاســـد الله بالأمـجـاد جـاءوا

وقـد صـدقـوا المـهـود وانجـزوها ومـا وهنوا ولا ضـعـفـوا وناءوا[1]

وعلى نفس الدرب يسير الشاعر عاطف الجندي، في قصيدته «حزب الله» يقول فيها مخاطبًا رجالات الحزب.

لأنك الوحيد - بيننا -

الذي يردُّ عن خيامنا

مطامع الغزاه

ويبعد الذئاب عن ربوعنا

ويحرس الشياه

ونحن لا نقدِّر الجميل

أو نبادل الوفاء بالوفاء

فصبحنا خيانة الصديق

والمساء فرصة لنقتل الظباء

ونحن من نقبِّل اليدين

كي نعيش مرتين!!!

في حظائر الحياه!![1]

أما الشاعر محمد يونس، فيخاطب الشهيد مهنأً له على الحياة الأبدية التي نالها

---

(١) محبوبة هارون، «قصيدة مخطوطة»، لدي.

(١) عاطف الجندي، «مخطوطة»، لدي.

obeikandl.com

بفضل الشهادة، وهو بذلك يضمّن أبياته معنى الآية الكريمة بأنهم أحياء يرزقون، فيقول في قصيدته «أحياك من أرداك»:

أحياك من أرداك

فارتد بالموت الذي أحياك من قتلاك

دنياه ظن يطيلها

إما طوى دنياك

فإذا بدنياه انطوت

والله أحيا بالردى دنياك

أو لم يكن أقصى مناك شهادة

في نيلها محياك

ولقد تحققت المنى - وكما أردت - فهل هناك

شيء تؤمل غير سير الثائرين على خطاك

حتى يؤذن فجر نصر نوره

بعض - تلألأ - من سناك[1]

المقطع يفيض بالشاعرية المرهفة، فضلاً عن الموسيقى اللفظية النابعة من استخدام طاقة الحرف/ الصوت وتغيير موضعه، فتتغير دلالته، إضافة إلى شرف المعنى الذي تحدث عنه القدماء، وللشاعر عدد كبير من القصائد تخص المآسي العربية، نذكر منها: «لك ما أردت من الدماء»، و«الشهيد»، و«صور»، و«لعله»، و«لم يبق غير النار»، و«الموت صار هو الخيار»، و«من يكون؟»، إضافة إلى قصيدته المطولة «الغضب».

أما الشاعر عزت عبد الله فيتذكر مأساة فلسطين، ومأساة المسلمين في كوسوفو، والشيشان، حينما تحدث عن مذبحة صبرا وشاتيلا، فيقول:

---

(١) محمد يونس: لم يبق غير النار - ملتقى الوعد الأدبي، اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية في لبنان - القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٣٧.

خمسون عامًا في فلسطين التي ... كم كابدت من وطأة العدوان
صبرا وشاتيلا شهود مذابح ... شرب الثرى منها دم الصبيان
في أرضها بقرت بطون حوامل ... ودم العذارى غار في الكثبان
لم يسلم الإنسان من وبلاته ... في أرض كوسوفو أو الشيشان[1]

أما الشاعر محمود خليل، فله قصيدة للأطفال بعنوان «ريح الجنة»، وكأن شاعرنا أصابه اليأس من رجالات العرب، فراح يخاطب الأطفال، علهم يشبون رجالاً مدافعين عن حقنا المسلوب، يقول فيها:

هبي ريح الجنة هبي ... في أنسامك نعمي ربي
والمسلم في كل زمان ... إن صيح به، طار يلبي
... (قانا) أنفاس تتردد ... وجهاد عذب يتجدد
وشهادة ميلاد حر ... في أن الغدر سيتبدد[2]

وهناك الكثير من شعراء مصر تناولوا القضية بتفاصيلها الدقيقة، مصورين المأساة لحظة بلحظة، وهم بذلك يؤكدون أن الشعر ديوان العرب، وهو سجل حافل لأحداثهم وأيامهم ووقائعهم، نذكر من هؤلاء الشعراء، فاروق شوشة وقصيدته «الشهيد»[3]، وسهير فودة وقصيدتها «من مهازل الحرب في لبنان»[4]، وحسن علي محمد عثمان، وقصيدته «اشمح بأنفك»، وكذلك قصيدة «أخشى عليك»[5]، وجابر الحاج في قصائده «لبنان»، «سوريا في لبنان»، «شهداء صبرا وشاتيلا»، «اللقاء»، «سباق وأمل»[6]، وكذلك حلمي سالم وديوانه «سيرة بيروت»[7]، وكذلك ديوان «قمر على الجنوب»[8] للشاعر وليد منير،

(١) عزت عبد الله: الشيطان يحكم - طنطا، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٥٣.
(٢) محمود خليل، سبع سنابل، القاهرة، ط١، ص ٧٧.
(٣) فاروق شوشة، الأعمال الشعرية الكاملة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤م، ٢/٤٥٠.
(٤) سهير فوده، الكلام في السياسة، مكتبة مدبولي - القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٩٥.
(٥) حسن علي محمد عثمان، عبير الوفاء، سلسلة آفاق أدبية (٢٤) - القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٣٥، ٨٢.
(٦) جابر الحاج، محنة الشقيقتين (فلسطين ولبنان) - القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٧٥، ٧٧، ٨٤، ٨٩، ٩١.
(٧) حلمي سالم، سيرة بيروت، دار الفكر للنشر والدراسات والتوزيع - القاهرة، ١٩٨٦م.
(٨) وليد منير، قمر على الجنوب، مركز يافا للدراسات والأبحاث - القاهرة، ١٩٩٦م.

وهو مهدى إلى المقاومة اللبنانية، إضافة إلى قصائد صابر عبد الدايم، وخاصة «السفينة والطوفان»[1]، وقصيدة «الجراد»[2] لكامل أمين، و«زير جدة إلى بلقيس»[3] لحسن طلب..... وغيرها من قصائد لكثير من الشعراء.

* * *

(١) صابر عبد الدايم، العاشق والنهر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، أصوات أدبية (٦٤)، ١٩٩٤م، ص٥٣.

(٢) كامل أمين، النور الأخضر، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٣٧.

(٣) حسن طلب، قصائد البنفسج والزبرجد - الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢م، ص ١٥١.

obeikandl.com

المملكة المغربية

على الرغم من بُعد المسافة بين المغرب ولبنان، فإن ذلك لم يثن المغاربة ولم يضعف همتهم، فتجاوبوا مع الأحداث، فالهمُّ العربي واحد، يشعر به القاصي والداني، فالشاعر حسن الأمراني يصدح بالهموم العربية أينما كانت في مصر أو لبنان أو في سوريا، وكأنه أينما ولى وجهه قابلته الهموم والأحزان، وكأنها طائر الفينيق - الأسطوري - الذي ما يلبث أن ينتهي فإذا به يعود من جديد، كذلك همومنا ومواجعنا وأحزاننا لا تنتهي أبدًا، فإذا خمد أوارها في قطر، تصاعد دخانها في قطر آخر، فنراه يقول في قصيدة بعنوان «قلوب على البركان»:

بدمي العيون تشع بالإيمان ... وترف في الأعماق فيض حنان
بدمي العيون المورقات قصائدا ... خضراء تسبح في دنى القرآن
وهج أطلَّ كأنه قبس بدا ... من «نار موسى» رائع الخفقان
....
أدمي إذن ذاك المطارد في ربى ... مصر وفي بيروت والجولان؟
أدمي الذي يسعى على جسد الخلي ... بح مفاضبًا، ويفور حين يراني؟
يا «طائر الفينيق» ذاك وما دنا ... قد سيط من «عبس»، ومن «ذبيان»
وحوافر الفبراء تعبث هاهنا ... بجماجم الضعفاء، والصبيان
هي أمة لفظت فتاها بفتة ... فمضى يسائل أين؟ أين مكاني؟

ثم يحدد الشاعر سبيل النجاة، والخروج من المآزق والنكبات العربية، إذ لا سبيل إلا بالعودة للإيمان بالله والعمل بكتابه، فيقول:

إني أنا السفر الذي كلماته ... هدى، ومن وحي السماء بياني
ها يا معشر المستضعفين تحصَّنوا ... بـ(الفتح)، و(الأنفال)، و(الرحمن)[1]

(١) انظر: موقع د. حسن الأمراني، على شبكة المعلومات الإلكترونية (إنترنت).

ولشاعرنا – حسن الأمراني – قصيدة أخرى تحت عنوان «لبنان» يبدأ الشاعر قصيدته متحيرًا من أين يبدأ قصيده، فكل ما في لبنان أحزان، وكل ما في بيروت جراح، وكأن الكلوم المتناثرة والأحزان المتكاثرة كانت سببًا في تحيره، فكل مصاب جلل كان أهلاً للبداية، فيقول:

لبنان إن الحسن يضني ... وشذاك يضمر ألف حسنِ
من أي بيروت سأبدأ ... أي بيروت أغني؟
أمن القلوب النابضات ... الرابضات بكل جفن؟
أم من صلاة يمامة ... خضراء تجرح ألف غصن؟
أم من جراح صبية ... سكنت كوخز الحلم ظني؟
أمن الخراب؟ من العذاب؟ ... من السراب؟ من التجني؟

ثم يصف الشاعر لبنان، حيث الأطلال الباعثة على الأسى والحزن، حيث الحطام الذي طال كل شيء، ورغم هذه المآسي والمحن، فإننا نحتسب هؤلاء الشهداء عند ربهم، فهم يرزقون في جنات عدن كما وعد ربنا سبحانه، فيقول:

أو ما ترى الأطلال تبـ ... ـعث في كياني ألف حزن؟
هذا حطام لم يدع ... قلبي الغرير ولم يدعني
الجرح يا لبنان يضني ... لكن.. إلى جنات عدن

أما الشاعر عبد الكريم الفلالي في قصيدته «ازرعني بشبعة سنبلة»، الرجل يأخذ من مزارع شبعة في الجنوب اللبناني مدخلاً لقصيدته، متمنيًا أن يكون سنبلة أو خبزًا لجياع أو حليبًا لرضيع، فقد أمه في ساح القتال، أو أغاريد نساء قد عدن من دفن شهيد أو حتى كحلاً لصبايا الجنوب، أو نعالاً لجنوده، الشاعر يريد مشاركة الجنوبيين أتراحهم وأفراحهم وأحزانهم وهمومهم بعدما تقاعس المتقاعسون، وخذلهم المتخاذلون فتراه يتمنى تلك الأماني لابسًا ثوب الخجل، علّه بذلك يكفر عن ذنوبه، فيقول:

خجلان أتيتك من قرب ... فاجعلني أكفر عن ذنبي
ازرعني بشبعة سنبلة ... أذكى من قنبلة الغرب
صيرني خبزًا لجياع ... حافٍ كي يشبعني شعبي

اجعلني حليبًا لرضيع ... ثكلته الأم على الدرب

اجعلني زغاريد نساءٍ ... شيعن شهيدًا بالحرب

أو بعني كحلاً لصبايا ... ونعالاً لجنود الحزب

اجعلني كتابًا يقرؤني ... أجيال ما بعد الحرب[1]

يلاحظ في الأبيات إصرار الشاعر مشاركة جنوب لبنان حربه الأخيرة في تموز ٢٠٠٦م آية ذلك إلحاحه الدائم في نحو قوله: «اجعلني» أكثر من أربع مرات في القصيدة، ثم استعماله لفعل الأمر الذي يوحي برغبة الشاعر الملّحة في المشاركة.. ولم يتوقف عطاء الشاعر عند هذا الحد، بل تناول هذه الحرب بقصائد عدة نذكر منها:

«لا أهلاً، ولا سهلاً»، و«قتابل ذكية دكًا دكًا»، و«غنائم حربك»، و«أطوار الحرب على لبنان»،... وغيرها.

«بيروت تموت» بهذا السطر الشعري وصف الشاعر محمد علي الرياوي مأساة لبنان وأحزان أهلها المشردين، فشوارعها تحرقها الجحافل الحمراء، بينما وقفت الدول الخمس، دائمة العضوية بمجلس الأمن موقف المناصر لهذه الهمجية البربرية، ولكن العجيب موقف الدول الإسلامية العاجز حتى عن الإدانة، يقول الرياوي في قصيدته تحت عنوان «قصائد زمن الرعب»:

يا أيتها الكأس المحرقة العطشى

ها مملكتي أشرعت الأبواب

ومرافئ ذاتي تستقطب

عنقود الفردوس، وعنقود الريح

هلا عدت إلى سمواتي راضية مرضية[2]

بيروت تموت

شوارعها يحرقها جلدي الأحمر

---

(١) انظر: موقع www.abyat.com على شبكة المعلومات الإلكترونية (إنترنت).

(٢) التزم الشاعر بالرسم العثماني في كتابته لكلمة (سمواتي).

وعرائس زمزم فوق التل الأكبر

لوّحن مرارًا بالأيدي الخمس

آه يا أيتها النفس

هل يقبل ذاك الحجر الأسود؟!(١)

يلاحظ تلميح الشاعر، وهو ما يفك مغاليق القصيدة، في مثل قوله: «عرائس زمزم فوق التل الأكبر»، «لوحن.. بالأيدي الخمس»، «الحجر الأسود»، مما يجعل القصيدة تدخل في إطار الرمز الديني والسياسي والاجتماعي، وهو ما يعطي القصيدة تألقًا وتوهجًا، وهو هدف رئيسي يسعى إليه الشعراء.

* * *

(١) موقع الشاعر محمد علي الرياوي على شبكة المعلومات الإلكترونية (إنترنت).

obeikandl.com

موريتانيا

الموريتانيون شعب قابع في غرب القارة الإفريقية.. عُرف عنهم أنهم مسلمون.. كما عُرف عنها – موريتانيا – أنها «بلاد المليون شاعر».

الموريتانيون يتفسون الشعر.. تمامًا كما كان العرب قديمًا، ويتميز شعر الموريتانيين كما يتميز شعر العرب قديمًا من نواح عدة كجزالة اللغة ورهافة الصورة، إضافة الشكل الشعري الذي يعدُّ ثوب القصيدة.

وعلى الرغم من المسافات الشاسعة والمفازات الهائلة فإن ذلك لم يكن عائقًا للشعراء الموريتانيين، ولذا نجدهم يتألمون لصراخ طفل في المشرق العربي، يصرخون لنواح ثكلى في الشمال العربي، ويذرفون الدمع لأرملة فقدت بعلها في الجنوب العربي.

فالموريتانيون إذن يعيشون الهمَّ العربي أينما كان – وما أكثره – يتفاعلون معه بأحاسيسهم المرهفة، وانفعالاتهم اللامحدودة، ولذا نرى الشاعر عبد الله السالم بن المعلي في قصيدته «يا نجد، يا نجد» يبكي الأحوال العربية عامة، يبكي تبدّل الأحوال وتغيّر الأزمان، يبكي المصائب العربية المتتالية، فراح يخاطب «نجد» بما لها من قداسة دينية استمدتها من رسول الله (ﷺ)، فيقول:

يا نجد؟ يا نجد هل من نجدة لذوي ... قرباك في الدين والتاريخ والنسب

عهدتنا الرأس للدنيا فغُيِّر في ... تركيبها فتحولنا إلى ذنب

لا الشام بالشام ولا حمص ولا حلب ... إذا رجعنا بحمص لا ولا حلب

وأين من سحرها لبنان ضاربة ... في منعة من قلاع العز والغلب

بل أين مرَّ «صلاح الدين» سيدتي؟ ... عفوًا ألسنا لأم كلنا وأب؟

ما ذنبنا أ «هلاكو» في مضاربنا؟ ... ما إن يزال يُرابي صفقة الشغب

أم أننا أمـة منسـيـة حُـرمت نور الحياة تضلعت في دجى الحقبة[1]

ويبدأ الشاعر سلسلة من التساؤلات الاستنكارية التي تمتد إيقاظ النعم العربية، وبث روح النخوة التي افتقدناها، فإلى متى تلك المخازي، وإلى متى هذه المحن، ألسنا قادة الدنيا فيما مضى، ماذا حدث، وما الأمر؟...؟ فيقول:

مـــاذا دهانا ألسنا أمـــة وسطا ظلت لخيـر أبٍ تُسعى وخيـر نبي؟
مشت خطاها الليالي فوق أظهرنا فمـا انتبهنا وعضّتنا ظلم نشبا
تأتي الهـزائم في شعبـان مخـزية تترى فنقـرأ أن النصـر في رجبا
إلى متى هكذا نبقى؟ فيا عجبًا! أما نحس؟ أما في الأمر من عجبِ؟
أما انتهى القول؟ إن القول يُفرقنا أمـا كفـانا من التهـريج والكذبِ؟
لم تبق في لهـوات الشـعر حنجـرة فقـد أغصّت عكاظ الناس بالأدب
وما ترى في سيـوف العُرب من ذكر يرتاح للشـعـر أو يهـتـز للخطب
لم يبق في الكوب من نخب فنجعله دواء مـولاتنا من دائهـا المـصـبي
هانت على الظافـر المختـال راعدة من تحتهـا صلف المستأسر التَّرِب
فما يقض على «شارون» مضجعه في قلب بيروت أن نشتد في الصخب

ويظل عبد الله السالم في بكائيته واستثارته للنخوة العربية المفقودة إلى أن يختتم قصيدته بقوله: إننا أطفال لا نعرف عدوًا من صديق، ولا نفرق بين الموت واللعب، فيقول:

والعرب - يا سواتي - طفل عدوهمُ يهـديهمُ الموت في الأقـلام والعلب

أما الشاعر الخليل النحوي فراح يبكي بيروت، مستنكرًا حالة العجز العربي، والخنوع الذليل، مستنكرًا دموعنا التي هطلت فكانت بحارًا له أمواجه المتدافعة المتلاطمة، والشاعر يشخّص بيروت ويتخذ منها صديقة يناجيها وتناجيه، يبثها آلامه وأحزانه العربية، فيقول في قصيدته «بيروت»:

بيـــروت كل القـــارعـــات ســـلام ذهـب الـرجـــــال ودالـت الأيام

---

(١) ملحق جريدة القاهرة عدد ١١٦ الأربعاء، إبريل ٢٠٠٨م، ص ٩.

البحر حولك موجة من دمعنا ... ودموعنا للعاهرين مدام
نبكي وبعض بكائنا ضحك ... وبعض شجوننا وهمومنا آوهام
الصخر يا بيروت رمل قلوبنا ... قست القلوب ولانت الأكمام
لا تنكري فرساننا.. فقوارس ... الزمن الجديد عجائز.. أقزام!!
لا تنكري إغضاءنا وحياءنا ... فالأرض رمل.. والرجال نمام!!
لا تنكري أحساب قومك إنهم ... أهل النهى.. لكنهم أيتام[1]

وعلى الرغم من طول القصيدة، فإنها تتميز بعاطفة قوية وتماسك في صورها، فضلاً عن ألفاظها الجزلة. وشاعرنا وهو يتحدث إلى بيروت المصابة إنما يومئ أحيانًا إلى الضعف العربي، أو إن شئت قل: الإهمال العربي.. فالشعوب لا تحرك ساكنًا مهمًا كان ضعيفًا، فلا حيلة لها إلا الكلام.. وماذا يفيد الكلام أمام الآلة العسكرية الغاشمة؟! أما حكامنا فابحث عنهم في صالات القمار، حيث رءوسهم مرتفعة، وأصواتهم عالية رنانة، وماذا يا بيروت وقد سلب الغرب منا الحقول والعقول، وأصبحنا أنعامًا تُساس، لا تملك يا بيروت - نحن الشعوب - إلا الدموع والأنين... فيقول:

بيروت صبرا.. ما لرهطك حيلة ... إلا الكلام.. وهل يفيد كلام؟
ستقاتلين العالمين وحيدة ... فبنو أبيك عن القتال صيام!!
كثرت مضارينا.. وطال بناؤنا ... فبكل سفح دارة وخيام
وبكل وادٍ راية مشطورة ... وبكل حيٍّ شرطة ونظام!
وبكل بطن للبسوس غوائل ... وبكل بيت ضجَّة وخصام!
وبكل أندية القمار رؤوسنا ... مرفوعة ورؤوسهم أقدام
وإذا ثرىً صال منا صولة ... فهو الكمي الفارس المقدام
وإذا تدار الكأس ذات عشية ... في محفل فبنو أبيك كرام!
سلب الغزاة حقولنا وعقولنا ... وحلومنا فكأننا أنعام!
لبّ المصيبة.. أن تعيش بذلةٍ ... فالذل موت في الحياة زؤام!

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٠.

يستأنف الخليل النحوي خطابه لبيروت، مؤكدًا أنها والقدس سواء بسواء، فالمصاب جلل والجرح دام، والذل العربي جاثم في ربوعنا، ولا نملك غير الأنين! فيقول:

بيروت أنت القدس.. أنت ديارنا ... أنت الشام وكل أرض شام
في كل قلب منك نبض عاصف ... ويكل صدر أنّة وسقام
ويكل جسم منك جرح نازف ... أنت الجراح.. وكلنا أجسام
فإذا ركعتِ فأنت حُرُّ وجوهنا ... وإذا هويتِ فأنت منّا الهام
بيروت صبرا يا أعزَّ أسيرة ... في كل بيت.. والبيوت ركام
شابت نواحينا.. وطال رضاعنا ... فمتى نشيب.. متى يكون فطام؟
ومتى نكفُّ عن البكاء.. فإنه ... غاض الكلام.. وجفَّت الأقلام

أما الشاعر محمد النبهاني بن المحبوبي في قصيدته «وقفة مع دار ندامى عطلوها وأدلجوا»، فيبدأ قصيدته كما بدأ القدماء، فبدأ متغزلاً بزينب ورباب، لاحظ الأسماء - وهي أسماء قديمة تغزل بهما القدماء أيضًا، ثم دلف من الغزل إلى الوقوف على الأطلال، ربما أراد النبهاني من ذلك إثارة المتلقي واستمالته أولاً، وهو ما أشار إليه ابن قتيبة حينما علَّل بدء القدماء بالغزل فقال: «الغزل لائط بالقلوب»، كما أن اختيار الشاعر للبحر العروضي «البسيط» دلالة ارتباط القصيدة بالقديم، واستلهامها للتراث، فيقول في قصيدته:

حطم كؤوسك فالأصحاب قد تابوا ... واسكب دموعك فالأحباب ما آبوا
ليل الصبا موحش لا خلَّ يؤنسه ... ولا حبيبٌ، فهل للبين أسباب؟
وزينب صرمت، ودعد قد خدعت ... شاب الهوى أم شباب الأمس قد شابوا؟
دار الرباب يباب بعد حلتها ... لا هي هي، ولا التطراب تطراب!
أمست خواء، خلاء، بلقعا، لببًا ... من ساكنيها؛ فغاب الأنس إذ غابوا
إن الزمان وإن طابت عطيته ... خاب الندامى به من بعد ما طابوا[1]

ويمضي النبهاني في قصدته مستبتًا الحكم في قصيدته الطويلة، فالحكمة ضالة

(١) المصدر نفسه: ص ٣١.

المؤمن لهذا يتدرع الشاعر بالحكمة علها تجد آذانًا صاغية أو قلوبًا واعية، وهي أيضًا الوعاء الذي صاغ فيه القدماء أشعارهم وتجاربهم، فهي - الحكمة - تمثل خبرة السنوات، وتجارب الكهول، فهي كطريق هداية، أو مصباح مضيء في ليل داج، وما لبث شاعرنا بعد هذا إلا أن بدأ القول عن أحوال أمتنا العربية الخانعة، وما يفعله اليهود بها، فنراه يقول:

ليل دجاه انصرام شف أمتنا ... وفجره يوم وصل الأمس إيهاب
إن الملاعين قد عاثت بأمتنا ... فالجمع مفترق، والشمل آراب
والبوم صاح، وورُق القوم قد رحلت ... أين الذين أصم الصخر قد جابوا؟[1]
هذي سعاد تروم الوصل ليس لها ... علم بأن بني الإسلام أغراب!!
ماذا أقول.. وعشقي اليوم سيدة ... في أسرها دونها سور وحجاب
الكفر حاصرها، والجهل شتتها ... مات الضمير، وهو الدهر أحقاب

ثم يبدأ الشاعر في استلهام التراث، نافخًا في الرماد لبعث أيام الحضارة الإسلامية، زمن الفتوحات الإسلامية، أزمان القوة العربية، بل نراه يذهب لأبعد من ذلك، فنراه يذكر «الرشيد/ كليب/ تميم/ طيء/ مضر/ جرهم/ الأوس/ كندة...»، ثم نراه يتحسَّر على المدن التي أضعناها، فيذكر «طليطلة/ القدس/ جنين/ غزه/ حيفا...»، ثم يصل للمأساة المراقية في زماننا الراهن ليندب حظنا العاثر فيمن تولى أمرنا، فيقول:

هل للرشيد بآلام النخيل أسى؟ ... هذا كليب حماه اليوم أسلاب
وهل مآذن إقليش مباذخة ... منارة القدس والأقيال أعراب؟
أهم غطارفة؟ أهم صعاترة؟ ... أهم صناديد أبطال وأقطاب؟
أم من تميم؟ أم من طيء؟ أم من مضر؟ ... أجرهم جدهم والأوس أصلاب؟
أهم أعدوا رباط الخيل مرهبة ... عدوهم؟ أمم إياه ما هابوا؟
عروسة الحلم، إن الناس قد غابوا ... غاب الشموخ، وتاريخ وآداب!

(١) إشارة إلى مصر، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ (الفجر: ١٠).

ضفي طليطلة نبات كتدكم	صرخن فاعتلت الأنسام والغاب!
وفي جنين كأين من أنين أسى	بدون آس وقلب الحق ينتاب!
واحيرتاه! من الليمون مبتسمًا	كأنه ما له في الكرب أحباب
أما رعوه، فهل تخضر خضرته	والأرض تنهب والأوصاب أضراب؟!
هل يطرب الناس والأهلون لا وطن	ولا رغيف ولا ماء ولا طاب؟
أم يضحك البحر والأمواج باكية؟	تبت يدا منتش والشؤم أسراب
هذي الرصافة لا عين المهاة بها	مات الخليفة، فالأحزان أحزاب
والجسر واجمة وغزة غُزيت	والجيف تُقلق حيفا منه أحواب
ودجلة ماؤها دمع الزمان جرى	حزنًا علينا ويبكي مثلها الزاب
آف.. على الدمع بئس الكرب معتليا	من بعد ما برزت في خصمنا ناب

ويستمر الشاعر على هذا المزف إلى أن ينتقل إلى جرح آخر من جراح الأمة، وهو التطاول على رسول الله (ﷺ).

ولكن يلاحظ أن الشاعر لم يستلهم التراث السياسي للأمة فقط، إنما استلهم التراث الأدبي من خلال قول علي بن الجهم، وهو يمدح المتوكل.

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى[1]

وهو أيضًا ما فعله الشاعر محمد كابر هاشم في قصيدته «النخيل الجريح»، والذي بدا من خلالها لائمًا الأمة العربية مواقفها المخزية، مستلهمًا «داحس والغبراء، وبعض أيام العرب كيوم «الكديد»، وهو يوم لربيعة، ويوم «بماث» وهو يوم النضير، كما يذكر التراث الأدبي القديم، مثل قول قريط بن أنيف «لو كنت من مازن لم تسبح إبلي...»، كما يستلهم تراثًا شعريًا معاصرًا من خلال قول أبي القاسم الشابي، وكذا قول علي محمود طه في قوله «جاوز الظالمون المدى»، ويقول الشاعر في مطلع قصيدته:

مدوَّرة أذرع الشمعدان

---

(١) ديوان علي بن الجهم: عني بتحقيقه خليل مردم بك، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط٢، ١٩٨٠م، ص ٢٢٠.

وتيه تقاسمه القارظان

وذل تسنَّم خيل الطعان

ونصل السنان

حنانيك يا عاشق الشممدان

فللبيت رب[1]

أما الشاعر الشيخ بن بلمش فينزف الدموع على الأمة العربية التي سقطت ورقة التوت عنها، وأصبحت لا حول لها ولا قوة، وقد غدت نهبًا لكل ذي مخلب، يرثي بلمش هذه الأمة من خلال قصيدته «مونولوج في حضرة المتنبي»، والتي يقول في مطلعها:

أيها القلب هل يفيد المتاب ... والحمى ديس والربوع يباب

وليالي الهوى التي دار سلمى ... مهدها كلها سراب سراب

عاتبونا وأزمعوا صرمنا لم ... يثنهم شوقنا ودمع سحاب

أيها التاركون قلبي جحيمًا ... أمن العدل أن يذلَّ الصحاب؟[2]

ويستمر الشاعر على هذا المنوال، ويعزف على هذه الأوتار الحزينة الموجعة علها تجد آذانًا صاغية أو قلبًا يعي الجراح، فينبض بالفداء، ولكن هيهات هيهات!!!

* * *

(١) المصدر نفسه: ص ٧.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٨.